الرابطة
ميثاق
لسان رابطة علماء المغرب

أسبوعية جامعة تصدر كل يوم جمعة . الثمن : 3 دراهم

السنة 35 ـ العدد 991 الجمعة 11 ربيع الأول 1423 هـ ـ الموافق 24 ماي 2002 م

كلمة العدد

لقد أطل عيد مولد المصطفى عليه الصلاة والسلام، وعند حلول ذكرى هذه المناسبة العظيمة يغمر العالم تصور ما حمل نبي الرحمة لهذه البشرية من الهداية عند مبعثه للناس كافة.. فلقد جاء برسالة تهدي للتي هي أقوم وتدعو لما هو أحسن، فكان رحمة للعالمين.. وكانت دعوته بلسما لكل من صدق بها من المؤمنين.

ذكرى هذا المولد النبوي الشريف توجه بحق لتنقية النفوس من الأدران كما تدعو لتقوية الإيمان في القلوب والتعلق بطاعة الله عز وجل والابتعاد عن الشرك به... وتلح هذه الذكرى الميمونة على امتثال ما أمر الله به واجتناب ما نهى عنه، وإذا نحن التزمنا بما أوجب الله علينا حسبما جاء به صاحب ذكرى المولد فذلك هو الاحتفال الدائم بعيد المولد النبوي الشريف، إذ أن الاحتفال به يتجسم في المحافظة على تطبيق رسالته للإنسانية، فلنقبل على الله بما جاء به نبينا ونسعى في تلاحم صفوفنا ونزع الأشواك المزروعة في سبيل تلاقي قلوبنا نحن المسلمين، ونحرص على جمع شملنا حتى يعانق البعض منا البعض ونعمل في صفوف متراصة لوقاية عقيدتنا من كل ما يتسرب إليها من عدوى تضعفها وتخلخلها في النفوس... كما نتعاون على البر والتقوى لا على الإثم والعدوان، ونجعل علينا سياجا منيعا أساسه امتثال ما جاء في الكتاب والسنة كي يقينا مما يخطط أعداء ديننا قصد تضعيفنا وتشرذمنا.

إن هذا المولد النبوي الشريف يحمل معه للعالم رسالة سلم ومحبة ووئام، فعلينا أن نبلغ هذه الرسالة على حقيقتها الناصعة الجذابة السالمة من كل حقد وتعصب، فنترجمها للآخرين بالسلوك القويم والعمل البناء...

مولد أتى بالرحمة والدفاع عن حقوق الإنسان بلا تبجح وبلا تغليف ولا عنصرية ولا تدليس ولا خديعة ولا نفاق.

مولد سيدنا محمد عليه الصلاة والسلام جاء يحمل معه للإنسانية ما يصلح حالها ومآلها يدعو للمساوات ونشر السلم بوضوح وشفافية كاملين، كما أتى نبينا ﷺ بكل ما يهذب النفس ويربيها التربية الصالحة.

جاءت شريعة صاحب ذكرى المولد النبوي الشريف بما يبني صرح حضارة الإنسانية على أسس من الأخلاق الحميدة والشمائل المفيدة والعقيدة السليمة لا شعوذة في هذه العقيدة ولا تدليس في السلوك ولا في المعاملة.

تمثل رسالته عليه الصلاة والسلام مجموعة من القيم متماسكة الحلقات، تسعد كل من تبناها على حقيقتها ويكمن في شكلها وجوهرها المجتمع النموذج المفضل... لا غش في هذا الجمهور المسلم بحق ولا كذب ولا خديعة ولا نميمة ولا تسلط ولا ظلم على الغير.

ينادي الإسلام على معتنق عقيدته النقية بأن الله حرم الظلم على نفسه وينهى عبيده عنه... لا إرهاب في الإسلام ولا تحايل فيه على الغير، ولا هدر للعدل والمشروعية، فيعطي لكل ذي حق حقه. وينصف المظلوم ويحمل على الظالم.

إنها رسالة نبي رحمة ومحبة وإصلاح. وصدق من قال في حق الرسول ﷺ صاحب الذكرى حين قال:

رحمة كله وحزم وعزم ووقار وعفة وحياء

قال الله جل وعلا: ﴿وإنك لعلى خلق عظيم﴾.

وقال الله تبارك وتعالى: ﴿وما أرسلناك إلا رحمة للعالمين﴾.

فلنأخذ العبرة من الذكرى، ولنتنبه لما يدعونا إليه من تحتفى بمولده صلى الله عليه وعلى آله وصحبه وشرف وكرم.

والسلام عليكم ورحمة الله تعالى وبركاته.

● فضيلة الشيخ ماء العينين لارباس ـ الأمين العام بالنيابة

أدب الرسائل إلى المقام النبوي الشريف

الحاجة إلى الأخلاق النبوية لتخليق العامة

السيرة النبوية أهمية دراستها.. النشيد النبوي

الشخصية المحمدية من خلال المديح النبوي

رابطة علماء المغرب تهنئ أمير المؤمنين جلالة الملك محمد السادس بمناسبة عيد المولد النبوي الشريف

بمناسبة حلول عيد المولد النبوي الشريف ترفع رابطة علماء المغرب آيات التبريك وخالص التهاني إلى أمير المؤمنين جلالة الملك محمد السادس حفظه الله.وهي إذ تتقدم إلى جلالة الملك بأصدق العواطف وأسماها وأنبل المشاعر وأسناها. تتضرع إلى الله سبحانه أن يعيد على جلالته المنيفة. وعلى أسرته الشريفة ذخرى هذا العيد السعيد بأكمل المسرات. وأن يحفظ شقيقه صاحب السمو الملكي الأمير السعيد مولاي رشيد. وسائر أفراد الأسرة المالكة. وأن يحقق سبحانه وتعالى على يدي جلالته بثاقب فكره وبعد نظره ما تصبو إليه الأمة الإسلامية بل والإنسانية عامة من نشر العلم والمحبة والوئام. وأن يحقق على يديه الكريمتين تحرير أولى القبلتين وثالث الحرمين المسجد الأقصى المبارك. إنه على ما يشاء قدير وبالإجابة جدير.

عن رابطة علماء المغرب

النائب الأول للأمين العام: الشيخ ماء العينين لارباس

قصيدة في المديح النبوي للشاعر الصوفي ابراهيم التازي

من اعداد: محمد بن احمد الامراني

هو ابراهيم بن محمد بن علي ينتمي إلى بني لنت إحدى قبائل تازة الشهيرة ولد بتازة، ولم يشر الذين ترجموا له إلى تاريخ ولادته.

نشأ وقرأ القرآن على استاذ تازا الشيخ الصالح المقرئ الزاهد أبي زكرياء يحيى الوازعي، وكان هذا الشيخ يظهر الاعتناء به على صغر سنه، ويشيد بذكره، وظل على هذه الحالة الحسنة والنشأة الصالحة إلى أن ارتحل من البلاد المغربية قاصدا أداء فريضة الحج.

وهناك درس على أكابر العلماء والأعلام الأجلاء سواء بمكة المكرمة أو المدينة المنورة أو بتونس وتلمسان أو بوهران التي حط فيها عصا التسيار.

وقد اثنى عليه مؤلف "نيل الابتهاج..." بقوله"

"الشيخ الإمام العالم العلامة الناظم البليغ الورع الزاهد، الولي الصالح العارف، صاحب الكرامات والأحوال البديعة والقصائد الرائقة الأنيقة" .

ويغلب عليها نفسه الصوفي، ولكنها لا تخلو من رقة وبلاغة وسلاسة وعذوبة، وتدل على قوة عارضته وتمكنه من ناصية لغة الضاد أيما تمكن. وعلى اتساع أفق ثقافته الإسلامية. توفي ابراهيم التازي بوهران يوم الأحد تاسع شعبان 866هـ 1462م وترك من القصائد والمقطوعات الشعرية لحد الآن خمس عشرة قصيدة ومقطوعة بلغ مجموع أبياتها ثلاثمائة وستة وثمانين بيتا.

ومن قصائده هذه القصيدة التي يمدح فيها النبي صلى الله عليه وسلم ويشير إلى بعض معجزاته:

روحي وراحة روحي ثم ريحاني — وجنتي من شرور الإنس والجان
ومأمني وأماني من سعير لظى — ذكر المهيمن في سري وإعلاني
ومدح أحمد أحمى العالمين حمى — وذو المقام الذي ما مقامه ثاني
يس طه المقفى ذو الشفاعة والـــــــــحوض الذي جل عن احصاء كيسان؟
سر الوجود وأسمى المرسلين سنى — والفاتح الخاتم الآتي بقرآن
ومعجزات وآيات مؤزرة — يزري سناها بياقوت وعقيان
كالنمل في عدد كالنبل في عدد — كالشهب والشمس في هدى وتبيان
فالبدر شق له المولى وظلله — بالمزن والبكر قال الحمل أعياني
والضب جاويه والظبي خاطبه — والجذع حن حنين العاشق العاني
والشمس ردت وأشجار الفلاة أتت — تسعى وترفل في أثواب إذعان
كذا الحصى سبحت في كفه علنا — لم يختلف فيه من أصحابه اثنان
كما أصابعه من بينها نبع العـــــــــذب الفرات فروت كل ظمآن
ويوم مولده الأسنى بدت عبر — للإنس والجن لا تحصى بديوان
للملة السمحة العليا مبشرة — بعزها وبإعلاء وإعلان
وللطغاة وللطاغوت منذرة — بقربهم من مسآت وأحزان
في ذلك اليوم نار الفرس قد خمدت — وكان ما كان من تصديع إيوان
وفيه أصبحت الأصنام ساقطة — كأنها سجد خرت للأذقان
والجن أفزعها فيه وأفظعها — رجم السماء لها بالثاقب القاني
والآي أكثر من أن يستطاع لها — حصر بعد وإحصاء بحسبان
هو السراج هو النور المبين وذو السبـــــــــع المثاني ويشرى نجل عمران
هو الملاذ هو المنجى المعتصم — هو المعاذ وملجأ الخائف الجاني
الله فضله والله كمله — فهو المكمل في عقل وجسمان
والله كرمه والله تممه — فهو المتمم في حسن وإحسان
واختاره من ذوي المجد المؤثل من — أسماهم نسبا من خير عدنان
يا رحمة الله إني خائف وجل — يا نعمة الله إني مفلس عاني
وليس لي عمل ألقى العليم به — سوى محبتك العظمى وايماني
فكن أماني من شر الحياة ومن — شر الممات ومن إحراق جثماني
وكن غناي الذي ما بعده فلس — وكن فكاكتي من أغلال عصياني
عليك يا عروتي الوثقى ويا سيدي الـــــــأوفى ومن مدحه روحي وريحاني
تحية الصمد الأعلى ورحمته — ما غنت الورق في أوراق أغصاني

الكوكبة الإيمانية

إعداد الأستاذ : محمد أصبان

من نماذج الكوكبة الإيمانية الذين عاش حياته وضاءة بنور الإيمان والتقوى العالم الجليل عبد الله بن عون.

حفظ القرآن الكريم قبل سن العاشرة ، حين كان يتمتع بذكاء وامض، وذهن ثاقب ، مماجعله يحفظ كل مايقرأ ويستوعب كل ما يسمع ، الشيء الذي أهله لأن يأخذ الكثير من أحكام الفقه وأصول الشريفة.

عاش طفولته نقيا مجدا ، عاكفا على الدراسته والعبادة والتأمل، متأدبا بأخلاق الإسلام، كان لايمازح أحدا . لأنه كان في شغل عن اللهو واللغو والعبث.

كانت تعاليم الإسلام تشكل سلوكه،وتصوغ حياته ، وصفه أحد العلماء المعاصرين له بأن الملائكة لم تكتب عليه طيلة أربعين سنة خطيئة واحدة. لأن كان يصوب لسانه ، وعينه،ويده وقلبه، لا يتكلم إلا بما يعلم أن فيه الخير، ولا يفصل إلا ما يظن أن فيه الخير، كان أشبه بالملائكة في نورانيته وتقواه.

كان يعلم علم اليقين أن الدنيا بما فيها من شهوات وما احتوته من ملذات ، إنما هي سوق من أسواق الآخرة

كان متحققا أن ما عنه الله هو خير وأبقى.

إذ رغم ثروته الكبيرة والكبيرة جدا ، كان يعيش في كنف الله تعالى ، ليصوم يوما ويفطر يوما، عملا بقول رسول الله صلى الله عليه وسلم: أحب الصوم إلى الله صوم أخي داود كان يصوم يوما ويفطر يوما.

كان يسارع إلمساعدة الناس وقضاء حوائجهم في سر وصمت ونكران الذات.

كان سائر أيامه إذا تحدث إليها خفض صوته وأطرق لها في تزلل وانكسار عملا بقول الله تعالى: واخفض لهما جناح الذل من الرحمة.

كان لا يجادل ولا يخاصم ولا يجلس في مجالس اللغو شعاره، قول الله تعالى: وإذا رأيت الذين يخوضون في آياتنا فأعرض عنهم حتى يخوضوا في حديث غيره، وإما ينسينك الشيطان فلا تقعد بعد الذكرى مع القوم الظالمين.

كان من وصاياه لتلا مذته قوله: أحب لكم ثلاثة وأوصيكم بها:

1 . أوصيكم بتلاوة القرآن أناء الليل وأطراف النهار

2 . وأصيكم بلزوم جماعة المسلمين ، وإياكم والفرقة.

3 . وأصيكم بالكف عن أعراض المسلمين.

هكذا عاش هذا العالم الرباني حياته منورة بالطهر، زاخرة بالتقوى لا يتكلم بسوء أبدا... إلى أن اختاره الله إلى جواره ، فتلقته ملائكة الرحمة والرضوان .. وكأن الملأ الأعلى قد تهيأ للقائه واستعد لقدومه فلحق بربه راضيا مرضيا وهو يتلو قول الله تعالى : لمثل هذا فليعمل العاملون.

موكب النور

■ شعر الأستاذ: الطاهر العروسي

جلال له الدنيا تدين وترهب — وفي صفات الخلد ذكرك يكتب
ينابيعه بالمعجزات تفجرت — وآياته من نفحة الطيب أطيب
أأنت ربيع عدت تضفي من الهدى — علينا هدى أم أنت للنور موكب؟
يرافقك الروح الأمين ورحمة — يحن لها من خلف مثواه يعرب
ربيع بعثت النور في كل بقعة — ولله سر في سناك ومأرب
بعثت لنا من عالم النور قائدا — يتيه به ركب الوجود ويعجب
من استقبل الآلام والثغر باسم — وذاك لعمري العبقري المهذب
عظيم نزيه قد أقام دعائما — من الطهر لم يشغله جاه ومنصب
ولكنه الاخلاص لله وحده — وقلب به الإيمان زاه ومخصب
معينك ياطه تفجر نبعه — ففي كل قلب من معينك طيب
وفي كل ثغر من رضا بك رشفة — وفي كل وجه من محياك كوكب
ألا يارسول الله نحن على الهدى — وأنت حبيب الله أنت المقرب

الوثاق

أدب الرسائل إلى المقام النبوي الشريف

سبق أن نشرنا في عدد سابق رسالة القاضي عياض إلى المقام النبوي الشريف، ومنذ ذلك الوقت عثرنا على نماذج أخرى مماثلة بل إننا وجدنا أن هناك من وضع نموذجا يحتدى للراغبين في مراسلة المقام الشريف.

وبمناسبة ذكرى المولد النبوي نقدم للقراء هذا النموذج...

الأستاذ : إدريس كرم

رسالة إلى الروضة الشريفة

من جماعة من أهل فاس

بسم الله الرحمن الرحيم وصلى الله على سيدنا ومولانا محمد واله وصحبه.

هذا كتاب إلى حضرة سيد الوجود، وينبوع الفضل والكرم والجود، شفيع الخلائق وملاذهم عند المضايق، حبيب رب العالمين، وإمام المرسلين الأكرمين، النبي الأمي، والرسول الخاتم الذي أربى على كل رسول وأنام، سيدنا محمد بن عبد الله بن عبد المطلب بن هشام بن عبد مناف، المخصوص بين الشفعاء بخصيص مزيد القرب من الجنان القدسي، القائل عند طلب الشفاعة أنالها حين يقول الكرماء العظماء نفسي نفسي.

وجهه للروضة الشريفة ضعفاء مكاسير ومعسرون من التقوى غير، قيدتهم بالمغرب الأقصى ذنوبهم الحمية عن ورود ورد طيبة الطيبة، والإرتواء بما ينزلُ عليها كل يوم من أمطار الرحمات الطيبة، مع ظمإ منهم إليها شديد، وحنين لهم إليها مديد، وهم أحمد بن حفيد الحسني المنتمي إلى الجناب السني وأبو الرجاء محمد بن أحمد الفاسي بلدا، وأبو القاسم بن أحمد الفاسي لقبا الكناني محتدا، والعبد الجاني الملتجي إلى حرمك العالي، أحمد بن عبد العزيز السجلماسي الهلالي، غفر الله أوزارهم، وقضى في خير أوطارهم.

رفعوا كتابهم هذا إلى روضتك الشريفة وحضرتك العزيزة المنيفة مستشفعين بك يا شفيع العاصين، ومستمطرين من كرمك يا مقرب القاصين ويا ملجأ الضعاف، ومقابل العفاة بالإسعاد والإسعاف، لتشفع لهم ولأحبتهم عند المولى العظيم، ذي الطول الشامل والفضل العميم، في أن يرزقهم الله تعالى زيارة قبرك الشريف، ويهب لهم الانضواء إلى ظلك الوريف واقتداء سنتك البيضاء فيما يأتون وما يذرون، وأن يمنحهم سعادة الدارين ويكفيهم فيهما كل ما يحذرون ويختم لهم بالخاتمة الحسني، ويجعلهم من أهل زمرتك في المقر الأسني، قائلين بلسان التضرع والتملق، رغبة في التشبث بأديالك الكريمة، والتعلق يا رسول الإله، يا من حباه ربه كل سؤدد واجتباه، يا شفيع الورى إذا أنكر الإنسان للهول أمه وأباه، يا رؤوفا بالمومنين رحيما، يا عطوفا على المرجي حفاه، يا منوحا زواره كل سول، يا صفوحا على كل جان أتاه بأثقال الضعاف، يا منقد الهلاك، يا غوث من أوى الى حماه.

يا رسول الله عطفا لغر قي مشفقين من كسبهم.

يهتاجهم وافد الركب . ويدري غرامهم وشجاه.

فتراهم كالطير في قفص، ان ذكر الوكر شاقه أن يراه.

حاشى من أم بحر جودك

حبيب الله أن لا ينال ما قد نواه

وخصوصا ذوي اظطرار لاذو

بذاره واستمسكوا بعراه

يرتجون نيل الشفاعة من

فضلك إذ مالهم غناء سواه.

فأجرهم وأشر لهم يا زعيم الرسل يا من به هدانا الإله.

وامنحهم في ذي وفي تلك وصلا وجوارا بطيب دان جناه،

إن من صار في جوارك يوما لحقيق بأن يحوز مناه،

وعلى المصطفى الشفيع صلاة وسلام لا ينتهي مداه،

وعلى آله وأصحابه الغر الكرام والهدي بهداه،

ما توالت مواهب الملك الوهاب وانهل فضله ونداه.

والسلام عليك أيها النبيء ورحمة الله وبركاته، صلى الله عليك وعلى أزواجك وذريتك وعلى أهلك أجمعين، كما صلى على إبراهيم وآل ابراهيم في العالمين إنك حميد مجيد فقد بلغت الرسالة، وأديت الأمانة، وعبدت ربك وجاهدت في سبيله، ونصحت لعباده صابرا محتسبا حتى أتاك اليقين، صلى الله عليك أفضل الصلوات، وأتمها وأطيبها وأزكاها، صلى الله عليك يا نبي الله ورسوله وخيرته من عباده، القائل بالحق والقادف بالوعد، والنافذ لله بالأمر، الذي أقام به شرائع دينه وأوضح به سبيله، وختم به أنبياءه ورسله.

اللهم أجزه عنا أفضل ما جزيت نبيا عن أمته، وزده شرفا وتكريما، إلى ما وعدته، واجز عنا سلفنا ومن تبعنا بإحسان مرافقة نبيك، والحلول في أعلى درج جناتك وألحقنا بهم واسلك بنا سبيلهم واقف بناء آثارهم إنك على كل شيء قدير وصلاة ربنا ورحمته على ملائكته ورسله وأنبيائه والسلام عليك يا أبا بكر الصديق ورحمة الله وبركاته صفي رسول الله (ص) وثانيه في الغار جزاك الله عن أمة رسول الله (ص) خيرا، السلام عليك يا أبا حفص الفاروق ورحمة الله وبركاته جزاك الله عن أمة رسول الله (ص) خيرا.

اللهم صل على سيدنا محمد عدد ما ذكرك وذكره الذاكرون وغفل عن ذكرك وذكره الغافلون وسلام على الأنبياء والمرسلين والحمد لله رب العالمين هـ بحمده -

***

ابتهال للامام ابن غازي

إليك رجائي يا مفرج كربتي
ويا عالم لم تخف عنه سريرتي
ويا من نقصت العهد بيني وبينه
مرارا فلم يظهر إلى الخلق زلتي
فيا رب بالمختار من خير هاشم
سألتك يا إلهي فاقبل لي دعوتي
قني شر حاسد ومن شر ماكر
وخيب ظنون القاصدين معادتي
وكن لي على الأعداء يا رب ناصرا
وخذ بيدي يا رب في كل مضرتي
ترى الذي قد دعاك سرا وجهرة
أيا سميع النجوى ومبصر حالتي
وكن لنا في كل المآرب كلها
أيا خفي الألطاف فاقض حاجتي
سألتك باسمك العظيم الذي به
تكونت الأشياء فارفع شكايتي
وخذ لي بثأري يا قدير من الذي
أراد هلاكي وارتض لي عداوي
وخر لي يا مختار يا باعث الورى
بجاه رسول الله خير الوسيلة
وأصحابه والأهل والرسل كلهم
فجب لي دعائي يا كريم العطية
وثبت على التوحيد عقلي ومنطقي
لدى سكرات الموت ثم بحضرتي
وصل على قطب الوجود محمد
صلاة الرضى تمحو بها كل زلتي

دعـــاء

لك الحمد كل الحمد يا رحيم الضَّعْف
ويا دائم الاحسان والرفق واللطف
لك الحمد ثم الشكر دون نهاية
على نعم جلت عن العد والوصف
صرفت من الاسواء ما لا يطيقه
مطيق فأنت الله ذو الكرم الصرف
وجدت وأسديت الجميل تفضلا
وزدت الإنعام ضعفا على ضعف
لك الملك يا قهار والأمر كله
إذا قلت كن كان المراد بلا خوف
إليك مددنا الكف كي تمدنا
بما نرتجي يا مالك البسط والكف
فعاف ودافع وارحم يا رب واكفنا
بحفظك ما نخشى فغيرك لا يكف
وابق على الستر في كل حالة
بفضلك في الدنيا والأخرى بلا كشف
واعظم واعزز يا عزيز جنابنا
وحطنا من الخذلان والغيم والخسف
وزدنا من الخيرات فوق مرامنا
بفضلك يا مولاي تعلى عن الكيف
وصل وسلم ثم بارك على النبي
به نرتجي منك النجوة من الرجف
محمد المختار والغر أهله
وأصحابه الاسد الغضاب لذا الزحف
وواصل عليهم ذاك ما لاذ خائف
بهم فتحلت بالأمان يوم الخوف
وما قال مرحوم على حال ضعفه
لك الحمد كل الحمد يا رحيم الضعف.

الحمد لله وينسب للعارف بالله الشيخ سيدي أحمد بن ناصر رضي الله عنه:

يا رحمة الله جدي السيز عن عجل
لرفع ما حل بالاسلام من وجل
وابعدي الشر عن قريان ساحتنا
ودافعي كل داء مختف وجل
وابدلي خوفنا أمنا وعافية
طول الحياة ويوم الهول والزلل
ألبسينا من الستر الجميل ومن
تقوى الإلاه جميل الحل والحلل
وأصلحي الدين والدنيا لنا كرما
وزينينا بوصف العلم والعمل
وبلغينا من الخير العميم ومن
رضوان خالقنا نهاية الأمل
بحرمة المصطفى وجاه بضعته
والصحب والحسنين والإمام علي
يا رب صل وسلم بالدوام على
من نرتجي أن يجيرني ويشفع لي
وآله الغر والاصحاب كلهم
والتابعين لهم جدا بلا مهل
ما حركت عذبات القلب ريح صبا
من حبهم فشفت ما فيه من علل

في ظلال الحديث

نص الحديث:

عن أبي هريرة ـ رضي الله عنه ـ أن رسول الله (ص) قال: "إن مثلي ومثل الأنبياء من قبلي كمثل رجل بنى بيتا فأحسنه وأجمله إلا موضع لبنة من زاوية فجعل الناس يطوفون به ويعجبون له ويقولون هلا وضعت هذه اللبنة، قال: فأنا اللبنة وأنا خاتم النبيين" متفق عليه.

الحديث الخامس والثلاثون: محمد خاتم النبيين

■ إعداد الاستاذ: عبد الله بوغوتة

راوي الحديث:

تقدمت ترجمته في الحديث السابق

تخريج الحديث:

رواه البخاري في الجامع الصحيح، باب خاتم النبيين،ج3 ص:1300. ح3341، قال: حدثنا قتيبة بن سعيد حدثنا إسماعيل بن جعفر عن عبد الله بن دينار عن أبي صالح عن أبي هريرة. (ض) ان رسول الله (ﷺ) قال: وذكر الحديث. وفي باب وفاة النبي (ﷺ)،ج3،ص1300،ح3342. واخرجه مسلم في صحيحه، كتاب الفضائل، باب ذكر كونه خاتم النبيين،ج4،ص1791ح2286و2287، وابن حبان في صحيحه، باب ذكر تمثيل المصطفى (ﷺ) والنبيين قبله معه بما مثل به، ج14،ص315و316،ح6405و6406، والترمذي في سننه، كتاب المناقب عن رسول الله، باب في فضل النبي (ص)،والإمام أحمد في مسنده، مسند باقي المكثرين،ج2ص256ح7479وص312ح 8101وص398ح9156وص411ح932 6وج3ص9ح11082،ص361ح14931و ج5ص136ح21281وص137ح21282 والطيالسي في المسند ج1ص247ح1785 والنسائي في السنن الكبرى ج6ص436ح11422 والبيهقي في السنن الكبرى ج9ص5ح17497والطبراني في مسند الشاميين ج1ص91ح130وعبد بن حميد في مسنده ج1ص90ح172 وهمام بن منبه الصنعاني في صحيفته ج1ص28ح2وعبد الرزاق في مصنفه ج6ص323ح31769و31770.

سند الحديث:

قتيبة بن سعيد: الشيخ الحافظ محدث خراسان ابو رجاء الثقفي مولاهم البلخي البغلاني ولد سنة تسع واربعين ومائة وسمع من مالك والليث وابن لهيعة وشريك وطبقتهم وعنه الجماعة سوى ابن ماجة وموسى بن هارون والحسن بن سفيان والفريابي وأبو العباس السراج وخلائق وكان ثقة عالما صاحب حديث ورحلات وكان غنيا متمولا. قال ابن سياروكان ثبتا صاحب سنة كتب الحديث عن ثلاث طبقات وقال: ابن معين ثقة وقال النسائي ثقة مأمون مات في شعبان سنة اربعين ومائتين(240هـ)رحمه الله تعالى عن إحدى وتسعين سنة.

إسماعيل بن جعفر: أخو محمد وكثير ويحيى أبو إبراهيم المدني الانصاري الزرقي مولاهم كان ببغداد.قال أبو زرعة الرازي هو ثقة مدني وقال عباس سمعت يحيى بن معين يقول إسماعيل بن جعفر وأخوه محمد بن جعفر ثقتان قال عبد الرحمن أخبرنا عبد الله بن أحمد بن حنبل فيما كتب إلي سألت أبي عن إسماعيل بن جعفر قال ما أعلم إلا خيرا قلت ثقة قال نعم قال أبو بكر سمعت يحيى بن معين يقول هو ثقة مأمون قليل الخطأ صدوق اللسان وهو صاحب الخمسمائة الحديث التي سمعها منه الناس وكان من أهل المدينة فقدم بغداد فلم يزل بها حتى مات سنة ثمانين ومائة (180هـ) روى له الجماعة.

عبد الله بن دينار: الإمام الفقيه أبو عبد الرحمن العمري المدني حدث عن مولاه عبد الله بن عمر وأنس بن مالك وسليمان بن يسار وأبي صالح السمان وعنه موسى بن عقبة وشعبة ومالك والسفيانان وورقاء وإسماعيل بن جعفر وخلق سواهم وحديثه في الصحاح كلها من متقني أهل المدينة وقرائهم توفي سنة سبع وعشرين ومائة (127هـ).

أبو صالح السمان ذكوان المدني مدني كوفي تابعي ثقة وهو أبو سهيل الزيات السمان مولى جويرية الغطفانية وكان يجلب الزيت والسمن إلى الكوفة شهد الدار وحصار عثمان (ض) وسأل سعد بن أبي وقاص وسمع أبا هريرة وعائشة وابن عباس وعدةمن الصحابة (ض) وعنه ابنه سهيل والأعمش وسمى وزيد بن أسلم وبكير بن الأشج ويحيى بن سعيد وطائفة ذكره أحمد فقال ثقة، ثقة من أجل الناس وأوثقهم قال الأعمش سمعت من أبي صالح ألف حديث.توفى سنة إحدى ومائة(101هـ) رحمه الله تعالى.

أهمية الحديث:

في هذا الحديث ضرب الأمثال للتقريب للأفهام وفضل النبي (ﷺ) على سائر النبيين، وأن الله ختم به المرسلين،وأكمل به شرائع الدين.

مفردات الحديث:

بفتح اللام وكسر الموحدة بعدها نون وبكسر اللام وسكون الموحدة ايضا، هي القطعة من الطين تعجن وتجبل وتعد للبناء ويقال لها مالم تحرق لبنة، فإذا أحرقت فهي آجرة.

المعنى العام:

1. حالة المجتمع الإنساني قبل البعثة المحمدية: لقد أجمع المؤرخون عامة أن المجتمع الإنساني عموما، ومجتمع الجزيرة العربية خصوصا، كان يعيش في غيابات الشرك والظلم والجهل، وظلمات الاستبداد والطغيان، تتنازعه إمبراطوريتان غارقتان في الضلال وحضارة الشهوة المتدنية، وهذا يشهد له حديث الحبيب (ﷺ): "... وإن الله نظر إلى أهل الأرض فمقتهم عربهم وعجمهم إلا بقايا من أهل الكتاب..."،فالأحوال متردية على جميع الأصعدة، السياسية والاقتصادية والاجتماعية والأخلاقية...

فعلى المستوى السياسي، فمجمل القول إن النظام السياسي الذي كان سائدا. آنذاك. في جزيرة العرب يتميز بالتشرذم والتفرقة كما قال الشاعر:

وصرنا أحاديثا وكنا بغبطة
بذلك عفتنا السنون الغوابر

وأما على المستوى الاقتصادي، فبلاد العرب بأقسامها، لم يكن فيها اقتصاد ذو قيمة بواد صحراوية،إلا ماكان من بلاد اليمن فقد كانت بلادا خصبة ولاسيما أيام سد مأرب، ولقد كان لقريش رحلتان معروفتان كما ذكر القرآن الكريم،رحلتا الشتاء والصيف، وكان الناس يعيشون على شظف العيش والضيق.

أما على المستوى الاجتماعي، فإن الفترة التي عاشتها الأمة العربية بدون وحي إلهي كانت طويلة جدا، وهي التي كانت بين النبي إسماعيل. عليه السلام. والنبي محمد (ﷺ)، ولقد عرفت نهاية هذه المرحلة فشو عدد من الظواهر الاجتماعية السيئة، كالقمار وشرب الخمر والاجتماع عليه والافتخار والباعهاة بتعتيقها وغلاء ثمنها، ونكاح الاستبضاع ووأد البنات، وقتل الأولاد مطلقا خشية الإملاق والفقر وتبرج النساء وخروجهن كاشفات عن محاسنها، واتخاذ الحرائر من النساء الأخذان رغم أنهن متزوجات، وإرغام الإماء على البغاء، هذا بالإضافة إلى العصبية القبلية وشن الغارات والحروب على بعضهم بعضا للسلب والنهب...

أما الحالة الدينية فتميزت بأقصى مظاهر الشرك والغلو في عبادة الأصنام، وعدد من البدع الدينية التي ما أنزل الله بها من سلطان كالبحيرة والسائبة والوصيلة والحام وخط الرمل للتعرف على الغيبيات...مع وجود الديانتين اليهودية والنصرانية وهما كما هو معلوم محرفتان عن أصليهما....

ومن سنن الله تعالى في خلقه وفي الكون أن الانفراج يكون بعد الشدة، والضياء يكون بعد الظلام واليسر بعد العسر، فبعد هذا الظلام الحالك الشديد الذي غطى سماء البشرية لاح نور الانعتاق من كل المظاهر السيئة، بولادة وبعثة الحبيب المصطفى الرحمة المهداة، نبي الهدى، سيد الأولين والآخرين وإمام الأنبياء والمرسلين، فأكمل الله به الدين وأتم به النعمة.

2- مثل النبي والأنبياء عليهم الصلاة والسلام:

شبه الحبيب في هذا الحديث، الأنبياء. عليهم الصلاة والسلام. وما بعثوا به من إرشاد الناس ببيت أسست قواعده ورفع بنيانه وبقي منه موضع به يتم صلاح ذلك البيت، وقد وقع في رواية همام عند مسلم "إلا موضع لبنة من زاوية من زواياها" فيظهر أن المراد أنها مكملة محسنة وإلا لاستلزم أن يكون الأمر بدونها ناقصا، وليس كذلك فإن شريعة كل نبي بالنسبة إليه كاملة، فالمراد هنا النظر إلى الأكمل بالنسبة إلى الشريعة المحمدية مع ما مضى من الشرائع الكاملة.

وفي هذا الحديث دليل على وحدة رسالة الأنبياء والمرسلين، إذ الرسالة كبناء، ولا يسمى البناء دار إلا إذا استكمل كل أركانه ومستلزماته، وهكذا فإن عدم الايمان بما جاء به نبي أو رسول يبطل الإيمان كله، بل وكما قرر القرآن الكريم وجب على المؤمن الصادق أن يؤمن بما أنزل الله تعالى على أنبيائه جميعا دون استثناء وكلا دون تجزيء.

3- مكانة سيدنا محمد بين الرسل:

من خلال الحديث يتبين لنا أن مكانة سيدنا محمد (ﷺ) بين الأنبياء والرسل، مكانة متقدمة ومتميزة، ويكفينا في هذا الباب أن الله شرفه عندالنداء أن يناديه بمهمته "النبوة والرسالة" وأنه بعث له الأنبياء ليلة الإسراء والمعراج فصلى بهم إماما...

4 - محمد خاتم النبيئين:

يقرر الحديث أن سيدنا محمد صلوات ربي وسلامه عليه، هو النبي الخاتم وهذا الأمر مقرر في القرآن الكريم وغير هذا الحديث مما صح عن النبي (ﷺ)، يضيق المجال بذكره، والجدير التذكير به هو أن دين سيدنا محمد هو الدين الخاتم الشامل النساخ، فلا دين في حقيقة الأمر مما نسمع اليوم، لأن الله تعالى أتم الدين وختمه ببعثه ..محمد (ﷺ) (ومن يبتغ غير الاسلام دينا فلن يقبل منه، وهو في الأخرة من الخاسرين).

والله نسأل أن يرزقنا حسن الخاتمة ويمتنا على دين محمد ويجمعنا به في جنته آمين.

أفكار الحديث:

- حاجة الإنسانية لبعثة محمد (ﷺ).
- وحدةرسالة ومهمةالأنبياء والرسل عليهم السلام.
- بعثة النبي (ﷺ) كمال وتمام للرسالات.
- سيدنا محمد (ﷺ) خاتم الأنبياء والمرسلين.

والله أعلم بالمراد وهو الهادي إلى سواء السبيل.

حديث المنابر

الحاجة إلى الأخلاق النبوية لتخليق العامة

■ إعداد الاستاذ: أبو عمر

الخطبة الأولى

الحمد لله رب العالمين، الذي مدح نبيه الكريم، بالخلق العظيم، فقال سبحانه عز وجل: (وإنك لعلى خلق عظيم)، وأشهد أن لاإله إلا الله، ولانعبد إلا إياه، له الملك وله الحمد وهو على كل شيء قدير، وأشهد أن محمدا عبده ورسوله، أبر الناس قلبا وأحسنهم خلقا، صلى الله عليه وعلى آله وأصحابه الأطهار، وعلى من اهتدى بهديه، واستن بسنته، وتخلق بخلقه، إلى يوم الدين، فاللهم اجعلنا منهم ومعهم برحمتك، وفضلك يا أرحم الراحمين، آمين.

أما بعد، عباد الله، اتقوا الله وأطيعوا رسوله، واعلموا أنكم إلى ربكم راجعون، وأنه يجازي أحاسنكم أخلاقا بأفضل الدرجات عنده يوم القيامة، فيجعله في رفقة النبي الكريم، فحسنوا أخلاقكم رحمكم الله، واغتنموا ما بقي من عمركم، في التوبة والإنابة إلى الله.

أيها الإخوة المؤمنون:

يجري الحديث في هذه الأيام عبر وسائل الإعلام المرئية والمسموعة والمكتوبة عن "تخليق الحياة العامة" وبدأت هذه الوسائل على غير عادتها تتحدث في مواضيع كانت من الممنوع تداوله في ما خلا من الأيام، كالرشوة والزبونية والمحسوبية والهجرة السرية وتزوير الانتخابات، وهذا كله شيء جميل ومطلوب، ولعل الإخوة الكرام يقولون ما علاقة هذا بما كنا أخبرنا أننا سنتناوله في هذا الشهر المبارك وهو الشهر الذي يذكرنا بمولد الحبيب (ص).

والجواب يا أحباب رسول الله أننا نريد أن نذكر أنفسنا وأبناء الأمة المحمدية بأصول الاحتفال بهذه الذكرى الغالية، ونربط الشيء بالشيء، فنقول إن خير مانفعله في هذه الأيام المباركة هو الرجوع إلى السنة النبوية والأخلاق المحمدية لإصلاح مافسد في أنفسنا وذواتنا وبيوتنا وإدارتنا وأسواقنا وجميع مناحي الحياة في ربوع الأرض، حتى نكون في مستوى الذكرى، ذكرى مولد النور محمد (ص)، وكان بودي أن نتكلم في هذه الأيام كلاما يذكرنا بالسيرة النبوية العطرة، لكنني ارتأيت ونحن نعيش حياة مليئة بالمتناقضات أن نخصص الحديث في هذا اليوم المبارك عن مقاصد البعثة المحمدية الرئيسية الأولى وفوائدها الأساسية الكبرى كما ذكر الله تعالى في عدة آيات من القرآن الكريم فقال سبحانه عز وجل: (كما أرسلنا فيكم رسولا منكم يتلو عليكم آياتنا ويزكيكم ويعلمكم الكتاب والحكمة ويعلمكم ما لم تكونوا تعلمون)سورة البقرة/الأية:151

وقال: (لقد من الله على المؤمنين إذ بعث فيهم رسولا من أنفسهم يتلوا عليهم آياته ويزكيهم ويعلمهم الكتاب والحكمة وإن كانوا من قبل لفي ضلال مبين) سورة آل عمران/الأية:164.

وقال الله تعالى:(هو الذي بعث في الأميين رسولا منهم يتلو عليهم آياته ويزكيهم ويعلمهم الكتاب والحكمة وإن كانوا من قبل لفي ضلال مبين) سورة الجمعة/الأية:2

إن مهمة تهذيب الأخلاق وتزكية النفوس تشغل مكانا كبيرا في دائرة الدعوة النبوية، ومقاصد البعثة المحمدية، وفي القرآن الكريم مايدل على أن الأخلاق الفاضلة والآداب الإسلامية هي من أهم مظاهر الحكمة، ومن أهم مابعث به نبي الرحمة (ص)، حيث حصر (ص) مهمته في إتمام الأخلاق الفاضلة، فعن أبي هريرة (ض) قال: قال رسول الله (ص): "إنما بعثت لأتمم مكارم الأخلاق"رواه مالك في الموطأ بلاغا، وأحمد في المسند بسند صحيح.

ولقد كان رسول الله (ص) خير مثال له وأفضل إسوة فيه، فلقد مدحه الله. عز وجل. بذلك فقال: (وإنك لعلى خلق عظيم)، وسئلت عائشة (ض) عن خلقه (ص) فقالت:"كان خلقه القرآن" رواه مسلم في صحيحه، أي كان (ص) متخلقا بالأخلاق الربانية، كيف لا، وقد كان منشرح الصدر بأوامر الله تعالى ونواهيه، يفعل ما فرض عليه طيب النفس به سلسا نحوه،وينتهي عما حرم عليه راضيا به غير متضجر منه، ويرغب في نوافل الخير ويترك كثيرا من المباح لوجه الله تعالى ، إذا رأى أن تركه أقرب إلى تحقيق العبودية من فعله،مستبشرا بذلك غير ضجر منه ولا متعسر به.

وتعالوا بنا أيها الأحبة في الله نعيش بعض اللحظات العطرة مع بعض الأخلاق الفاضلة، والصفات الطيبة لنبي الهدى (ص)، ولن نجد أفضل من أعرف الناس به، وأطولهم صحبة له، وأكثرهم عشرة له، وأقدرهم على الوصف والبيان، من علي ابن أبي طالب كرم الله وجهه، فأنصتوا له رحمكم الله له وهو يصفه (ص): "لم يكن فاحشا متفحشا، ولاصخابا في الأسواق، ولايجزي السيئة بالسيئة، ولكن يعفو ويصفح، ماضرب بيده شيئا قط إلا أن يجاهد في سبيل الله، ولاضرب خادما ولا امرأة، ومارأيته منتصرا من مظلمة ظلمها قط ما لم ينتهك من محارم الله شيء، فإذا انتهك من محارم الله كان من أشدهم غضبا، وما خير بين أمرين إلا اختار أيسرهما، وإذا دخل بيته كان من البشر، يفلي ثوبه ويحلب شاته ويخدم نفسه، كان يخزن لسانه إلا فيما يعنيه، ويؤلفهم ولاينفرهم، ويكرم كريم كل قوم ويوليه عليهم ..ويتفقد أصحابه ويسأل الناس عما في الناس... كان دائم البشر، سهل الخلق لين الجانب، ليس بفظ ولاغليظ ولا صخاب ولا عياب ولا مشاح، قد ترك نفسه من ثلاث: المراء والإكبارومالايعنيه، وترك الناس من ثلاث: "كان لايذم أحدا ولايعيبه، ولايطلب عورته، ولايتكلم إلا فيما رجا ثوابه"...لايقبل الثناء إلا من مكافئ، ولايقطع على أحد حديثه حتى يجوز فيقطعه عليه بنهي أو قيام.كان أجود الناس صدرا، وأصدق الناس لهجة وألينهم عريكة، وأكرمهم عشيرة، من رآه بديهة هابه، ومن خالطه معرفة أحبه، يقول ناعته: لم أر قبله ولابعده مثله (ص)" من كتاب السيرة النبوية لأبي الحسن الندوي.

وكان كثير المراعاة لاختلاف الأحوال، ومايعتري النفوس من فتوروملال، فكان يتخولهم بالموعظة مخافة السآمة عليهم، وكان يتجوز الصلاة إذا سمع بكاء صبي، عن أبي قتادة عن النبي (ص) قال:" إني لأقوم في الصلاة أريد أن أطول فيها فأسمع بكاء الصبي فأتجوز في صلاتي كراهية أن أشق على أمه". البخاري ومسلم وابن ماجة والنسائي وأبو داود واحمد.

وكان، صلى الله عليه وسلم. لايحب أن يبلغه أحد ما يقال عنه أو فيه مهما كان: عن عبد الله بن مسعود قال: قال رسول الله (ص): "لايبلغني أحد عن أحد من أصحابي شيئا فإني أحب أن أخرج إليهم وأنا سليم الصدر قال عبد الله فأتى رسول الله بمال فقسمه فانتهيت إلى رجلين جالسين وهما يقولان والله ماأراد محمد بقسمته التي قسمها وجه الله ولا الدار الأخرة فتثبت حين سمعتها فأتيت رسول الله وأخبرته فاحمر وجهه وقال دعني عنك فقد أوذي موسى بأكثر من هذا فصبر"الترمذي وغيره.

ويقول أنس (ض) : خدمت النبي (ص) عشر سنين فما قال لي: أف،و لا لم صنعت؟ ولا ألا صنعت؟

وجاء أعرابي إليه،فقال: يارسول الله: كم أعفو عن الخادم كل يوم؟قال: سبعين مرة وقال: "عن عبد الله بن عمر قال: قال رسول الله . صلى الله عليه وسلم . أعطوا الأجير أجره قبل أن يجف عرقه" رواه ابن ماجة في كتاب الأحكام.

وكانت هذه الحكمة والتزكية من أعظم ثمرات الصحبة النبوية ومجالسته (ص) وعشرته، فنشأ في أحضانه جيل تحلى بأفضل الأخلاق وأكرم الصفات، وتجرد عن رذائل الأخلاق، ومهلكات العادات، وذمائم الصفات، وغوائل النفوس، وبقايا الجاهلية، ومغالطات الشيطان، وقد شهد القرآن باستقامة قلوبهم، وصلاح نفوسهم، ووصولهم إلى ذروة تهذيب الأخلاق وتزكية النفوس،فقال: (واعلموا أن فيكم رسول الله لو يطيعكم في كثير من الأمر لعنتم ولكن الله حبب إليكم الإيمان وزينه في قلوبكم وكره إليكم والفسوق والعصيان أولئك هم الراشدون، فضلا من الله ونعمة والله عليم حكيم)سورة الحجرات.

ولقد شهد لهم رسول الله (ص) فقال: "خير القرون قرني"البخاري.

وشهد لهم أحد رفاقهم "عبد الله بن مسعود (ض)"بقوله البليغ الوجيز في تعداد محامدهم وفضائلهم، ووجوب التأسي بأفعالهم الحميدة، وأخلاقهم الكريمة: "من كان متأسيا فليتأس بأصحاب رسول الله (ص) فإنهم كانوا أبر هذه الأمة قلوبا، وأعمقهم علما، وأقلهم تكلفا، وأقومهم هديا، وأحسنها حالا، اختارهم الله لصحبة نبيه (ص) وإقامة دينه، فاعرفوا لهم فضلهم، واتبعوا آثارهم، فإنهم كانوا على الهدى المستقيمين".

لقد كانوا . رضي الله عنهم . زرع الإسلام، وغرس النبوة، وصنائع التربية النبوية، والتزكية المحمدية، فاللهم اجعلنا نقتفي آثارهم، ونتخلق بأخلاقهم الحميدة، ونتصف بصفاتهم الكريمة، وارزقنا محبتهم ومحبة من يحبهم. والحمد لله رب العالمين.

الخطبة الثانية

الحمد لله رب العالمين، والعاقبة للمتقين ولا عدوان إلا على الظالمين، وأشهد أن لاإله إلا الله ولي المتقين، والهادي إلى الصراط المستقيم، وأشهد أن محمدا صاحب الخلق القويم، والقلب الرحيم، صلى الله عليه وعلى آله وصحبه أجمعين، ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين.

إن الأخلاق في الفلسفات الأرضية مهما كانت منطلقاتها عرجاء، لأنها تنظر إلى الأخلاق من زاوية واحدة محدودة ومن جانب أرضي قاصر، بينما عدد القرآن الكريم مظاهرها وبين أسسها وقواعدها، فالأخلاق في الإسلام ليست خيالية، بل هي مبادئ جسدها في الواقع العملي رسول الله (ص)والصحابة في حياته ومن بعده.

وتقوم الأخلاق الإسلامية على ثلاثة محاور أساسية:

1. التخلق بخلق حسن مع رب العالمين وذلك بالإيمان به وحده لاشريك له شكرا على نعمه التي لاتعد ولاتحصى وامتثالا لشريعته واستحياء منه سبحانه عز وجل، عن عبد الله بن مسعود قال: قال رسول الله (ص) استحيوا من الله حق الحياء. قال: قلنا يارسول الله: إنا نستحيي والحمد لله، قال: ليس ذاك ولكن الاستحياء من الله حق الحياء أن تحفظ الرأس وما وعى والبطن وماحوى ولتذكر الموت والبلى ومن أراد الآخرة ترك زينة الدنيا فمن فعل ذلك فقد استحيا من الله حق الحياء"رواه الترمذي وأحمد.

2. التخلق مع المخلوقين بفعل الخير فإن لم يستطع فبمحبته لهم وكف الأذى عنهم.

3. التخلق مع النفس بقيادتها إلى مايرضي ربها، وعدم إلقائها في التهلكة، إذ الأخلاق الإسلامية تنطلق بالنفس البشرية من إرضاء الله . عز وجل في الدنيا لتصل بها إلى رضوانه والفوز بالجنة يوم القيامة.

ولقد جمعت أصول الأخلاق الإسلامية الآيات الواردة في سورة البقرة: (ليس البر أن تولوا وجوهكم قبل المشرق والمغرب ولكن البر من آمن بالله واليوم الآخر والملائكة والكتاب والنبيين وآتى المال على حبه ذوي القربى واليتامى والمساكين وابن السبيل والسائلين وفي الرقاب وأقام الصلاة وآتى الزكاة والموفون بعهدهم إذا عاهدوا والصابرين في البأساء والضراء وحين البأس أولئك الذين صدقوا وأولئك هم المتقون"سورة البقرة/الأية:177.

إلا أن بر الوالدين يتقدم البر بالمخلوقين عموما لما للآباء من فضل على الأبناء.

وهناك، أيها المؤمنون، تلازم تام، وعلاقة وطيدة بين الإيمان وحسن الخلق، فكلما كان العبد أحسن خلقا كان أكمل إيمانا، وكلما أحسن إلى الناس بالبشاشة والتبسم وطلاقة الوجه وكف الأذى وبذل الندى كان أفضل عند ربه، فأعبد الناس عند الله من حسن خلقه وأمن الناس مكره وخداعه، قال(ص):"أكمل المؤمنين إيمانا أحسنهم أخلاقا، وخياركم خياركم لنسائهم" رواه الترمذي.

وعن أبي هريرة قال: قال رسول الله (ص):" من يأخذ عني هؤلاء الكلمات فيعمل بهن أو يعلم من يعمل بهن فقال أبو هريرة فقلت أنا يارسول الله فأخذ بيدي فعد خمسا وقال: اتق المحارم تكن أعبد الناس وارض بما قسم الله لك تكن أغنى الناس وأحسن إلى جارك تكن مؤمنا وأحب للناس ما تحب لنفسك تكن مسلما ولاتكثر الضحك فإن كثرة الضحك تميت القلب"رواه الترمذي في كتاب الزهد رقم 2227.

ويصل المؤمن المتخلق بالأخلاق الربانية درجة العابد لقوله (ص): "إن المؤمن ليدرك بحسن خلقه درجة الصائم القائم"رواه أبو داوود.

وحسن الخلق طريق الجنة: عن أبي هريرة قال: سئل رسول الله . صلى الله عليه وسلم . عن أكثر ما يدخل الناس الجنة فقال: "تقوى الله وحسن الخلق وسئل عن أكثر مايدخل الناس النار فقال الفم والفرج"رواه الترمذي والبر والصلة رقم:1927.

أخي المؤمن، أختي المؤمنة: إذا أردت بحبوحة الجنة والفوز برضا الله . عز وجل . يوم القيامة، وصحبة المصطفى . صلى الله عليه وسلم . بل جواره والقرب منه يوم القيامة في جنة رب العالمين، فعليك بتقوى الله وحسن الخلق، عن جابر بن عبد الله أن رسول الله (ص) قال إن من أحبكم إلي وأقربكم مني مجلسا يوم القيامة أحاسنكم أخلاقا وإن أبغضكم إلي وأبعدكم مني مجلسا يوم القيامة الثرثارون والمتشدقون والمتفيهقون. قالوا يارسول الله قد علمنا الثرثارون والمتشدقون فما المتفيهقون قال المتكبرون" رواه الترمذي في كتاب البر والصلة 1941(والثرثار هو الكثير الكلام والمتشدق الذي يتطاول على الناس في الكلام ويبذو عليهم).

وما انتشر الإسلام في العديد من البلدان إلا بحسن الخلق، فبحسن المعاشرة والصدق في القول والوفاء بالعهد والوعد، وبالزهد مما في أيدي الناس وبالبشاشة وطلاقة الوجه والمطاوعة والعفو عند المقدرة وإكرام الضيف وحمل المعدوم وقضاء حوائج المحتاجين إلى غير ذلك من الأخلاق الفاضلة دخل العديد من الناس في دين الله عزوجل.

فما علينا . اليوم . أيها الأحبة في الله إلا أن نعود إلى المنبع الصافي الذي لاينضب، إلى رسول الله وصحبه، فنقتفي أثرهم، ونهتدي بهديهم،حتى نعيش السعادتين في الدنيا والأخرة، علينا أن نحسن أخلاقنا، وأن نتأدب بالأدب الرباني مع جميع الناس، فنكون من الفائزين ويحق لنا بحق أن نرفع هذا الشعار الجميل: "تخليق الحياة العامة"،فوالله لن تقوم قائمة للمسلمين حتى يحسنوا أخلاقهم، فتجدهم متحابين، متسامحين، متآلفين،متضامنين، يوقرون الكبير ويحنون على الصغير، ويرحمون الناس...

ومن تخلق بهذه الأخلاق لايجمل به أن يكون خائنا لدينه أو وطنه أو ملكه، بل لايليق به أن ينعت بأي نعت سيء مما نرى ونعايش.

وأخيرا، ياأحباب رسول الله إن تخليق الحياة العامة والإصلاح الإداري والإصلاح السياسي وكل إصلاح لابد وأن تكون مرجعيته هذه المرجعية التي لابديل لنا عنها...

فاللهم وفقنا إلى الخير وأعنا عليه، اللهم كما حسنت خلقنا فحسن خلقنا، واجعلنا من الراشدين.

وانصر اللهم ملك البلاد، الملك محمدا السادس،نصرا محفوفا بالرشاد وأيده ببطانة من أصلح العباد، واشدد أزره بشقيقه السعيد المولى الرشيد ، إنك سميع مجيب.

السيرة النبوية العطرة

أهمية دراستها وضرورة إعادة قراءتها وكتابتها

■ بقلم الأستاذ رضوان ابن شقرون

أهداف قراءة السيرة وتدارسها :

سيرة سيدنا محمد رسول الله (ص) في جوهرها مثال حي للصالحين والمصلحين، وهي زاد معين على فهم الشريعة والدين، ونبراس يضيء سبيل التائهين الهائمين، وعون قوي على فهم شخصية سيد الأولين والآخرين، من أجل تحقيق الاقتداء الواجب شرعا (ص) في كل ما يتعلق بأمور الدنيا والدين، وباعث حثيث على المحبة المطلوبة له ولما جاء به عن رب العالمين، وهي إلى ذلك كله مثل أعلى في كل عمل أو فكر أو سياسة أو تدبير، وأوثق عمل حضاري دون في تاريخ البشرية بعد القرآن المبين والحديث المروي عن النبي الأمين (صلى الله وسلم عليه وعلى آله وصحبه أجمعين.

والله عز وجل قد أكمل برسالة محمد صلى الله عليه وسلم دينه، وأتم بها على البشر نعمته، وختم بها إلى الأبد وحيه وقد أدب رسوله محمدا صلى الله عليه وسلم ورعاه بنفسه، ومن ثم كانت معرفة حياته وأخلاقه وتصرفاته في حله وترحاله، وفي بيته ومع أصحابه، وفي علاقاته مع الأقارب والأباعد، وفي أحوال السلم والحرب والرضى والغضب، وفي المعاشرة الزوجية والمهام الدعوية، وفي جميع أحواله ضرورية من أجل طاعته صلى الله عليه وسلم والاقتداء به، عملا بأمر الله تعالى جميع الناس أن يقتدوا به في مثل قوله عز وجل : "قل إن كنتم تحبون الله فاتبعوني يحببكم الله ويغفر لكم ذنوبكم، والله غفور رحيم، قل أطيعوا الله والرسول، فإن تولوا فإن الله لا يحب الكافرين". سورة آل عمران 31/3-32، وقوله سبحانه : "من يطع الرسول فقد أطاع الله" (سورة النساء 79/4)، كما أمره الحق سبحانه وتعالى بالاقتداء بالأنبياء الصادقين المهتدين فقال جل شأنه وقد ذكر مجموعة منهم عليهم الصلاة والسلام : "أولئك الذين هدى الله فبهداهم اقتده" سورة الأنعام 91/6.

وطاعته صلى الله عليه وسلم ومحبته ليست مجرد عاطفة صورية، ولا دموع منهمرة، ولا هي تظاهر شكلي، بل هي اتباع فعلي لسنته واقتداء عملي بمنهجه وتخلق اقتناعي بخلقه، ولا يتأتى ذلك إلا بمعرفة سيرته وتدارسها والربط بينها وبين الواقع الذي تعيشه الأمة أفرادا وشعوبا وهيئات ومؤسسات وعلاقات.

ولقد كان الصحابة رضوان الله عليهم يتأسون به صلى الله عليه وسلم في كل أفعاله وأقواله، وفي الكبير والصغير من شؤونه، وكانوا حريصين من أجل ذلك على تتبع أحواله العامة والخاصة، ومعرفة حركاته وسكناته وجميع تصرفاته.

تدوين السيرة عبر العصور :

يعتبر تدوين السيرة النبوية امتدادا لما اشتهر به الحكماء العرب من اهتمام بالإنسان والأحداث والأيام والأخبار وتمجيد للبطولات وإشادة بالأبطال، لكن كيف ينبغي فهم السيرة النبوية اليوم؟ وكيف تطور التأليف فيها ؟ وما الفرق بين المناهج التي اتبعت قديما وبين المتبعة اليوم في دراستها وفهمها وكتابتها، وفي تطبيق معطياتها ودروسها وعبرها؟ ومافائدة تدارسها في الوقت الحاضر؟

للأسباب التي قدمنا والدوافع التي بينا والأهمية التي تبينا، انطلق المسلمون منذ العهود الأولى للتدوين يسجلون أحداث السيرة النبوية ووقائعها.

وأول مصدر تضمن إشارات إلى سيرة النبي محمد صلى الله عليه وسلم هو القرآن الكريم، فهو يشتمل على كثير من الإشارات إلى أخلاقه صلى الله عليه وسلم وكثير من مواقفه الدعوية أو الاجتماعية أو السياسية أو العسكرية أو المدنية.

ثم تأتي السنة بأنواعها، قولا أو فعلا أو تقريرا أو وصفا، فتشكل المصدر المهم الثاني للسيرة بعد القرآن الكريم.

ثم تأتي بعد ذلك مرحلة الرواية الشفوية، حيث كان الناس في البداية يتناقلون أحداث السيرة النبوية صغارا عن كبار، وكانوا يعلمون أولادهم السيرة كما يعلمونهم المبادئ الأساسية للدين.

فلما انتشرت الكتابة واتسع نطاق التدوين صار الناس يدونون أحداث السيرة مختلطة بالأحاديث تارة، وبالتاريخ آونة، ويعتبر محمد ابن إسحاق (86-153هـ) سباقا إلى التأليف في السيرة، واعتبر بحق عمدة المؤلفين الذين اشتغلوا بكتابة السيرة النبوية بعده، فهو أول من ألف كتابا جامعا محكما عرف في التاريخ ب "سيرة ابن إسحاق".

لكن ما إن انتهى القرن الثاني الهجري- والمسلمون في عنفوان عصر تدوين العلوم والثقافات - حتى تألق عبد الملك بن هشام (ت 213)، فهذب سيرة ابن إسحاق ونظمها فغلب اسمه عليها وعرفت منذئذ بسيرة ابن هشام، وتنوسي ابن إسحاق، وقبع كتابه في رفوف الزمن، ولم تشتهر وتعرف إلا "سيرة ابن هشام" التي صارت المصدر الأساسي في كل دراسة أو بحث في السيرة، لأنه جمع الأحداث ودون المراحل وعزل الأخبار، وتعقب ابن إسحاق في الكثير مما أورده بالتصفية والاختصار، أو النقد والإضافة.

وقد أشار ابن هشام إلى منهجه هذا في مقدمة كتابه، فذكر أنه "تارك بعض ما يذكره ابن إسحاق .. مما ليس لرسول الله صلى الله عليه وسلم فيه ذكر ، ولا نزل فيه من القرآن شيء، وليس سببا لشيء من هذا الكتاب ولا تفسيرا له ولا شاهدا عليه" (السيرة النبوية، لابن هشام، المقدمة : ي)، كما ذكر أنه حذف أفكارا ذكرها ابن إسحاق لايعرفها أهل العلم، وحذف أشياء يشنع أهل الحديث بها، وحذف ما يسوء بعض الناس ذكره، واستقصى ما سوى ذلك مما في سيرة ابن إسحاق بمبلغ الرواية له والعلم به .

تستعرض سيرة ابن هشام حياة رسول الله صلى الله عليه وسلم منذ الإرهاصات الأولى التي سبقت ميلاده إلى وفاته مرحلة مرحلة وموقفا موقفا مع التعرض لكل الحوادث والمحطات المتعاقبة ما تعلق منها بالدعوة أو ما تعلق بالسياسة أو بالمغازي والفتوح.

وتوالى التأليف في السيرة بعد ابن هشام عبر الحقب والعصور، وتنوعت الكتابات فيها واختلفت مناهجها ومنطلقاتها وأهدافها وأساليبها، ومن أهم ما ظهر من كتب السيرة عبر الحقب كتاب "الشفا في التعريف بحقوق المصطفى" للقاضي عياض (ت 544 هـ)، و"الروض الأنف، شرح سيرة ابن هشام" للإمام أبي القاسم السهيلي (ت 581هـ)، و"السيرة النبوية" لأبي الفداء ابن كثير (ت 732)، و"زاد المعاد في هدي خير العباد" للإمام ابن القيم (ت 751) ، "وسبل الهدى والرشاد في سيرة خير العباد"، وهي المعروفة بالسيرة الشامية، للإمام محمد بن يوسف الصالحي الشامي (ت 942)، ونفائس الدرر في سيرة سيد البشر" لمسعود المغربي (ت 1119).

إعادة كتابة السيرة في العصر الحديث :

في العصر الحديث ومع انتشار الصحوة الإسلامية المباركة وهبة المسلمين من سباتهم في محاولة للأوبة والالتفات إلى المصادر الصحيحة والمنطلقات القويمة للفكر والمنهج والعمل، اتجه بعض المفكرين والدعاة نحو قراءة السيرة النبوية، وشعروا بالحاجة إلى إعادة كتابتها بأساليب جديدة، فتنوع التأليف في السيرة بتنوع المنطلقات والأهداف والمكونات والعوامل والاهتمامات، وكذا بتنوع الظروف التي يعيشها هذا الشعب أو ذاك من الشعوب العربية والإسلامية في مشارق الأرض ومغاربها، وكان منهج المعاصرين في تناول الأحداث وتحليل المواقف وتفسير الوقائع يختلف عند البعض عنه عند البعض الآخر، ولعل ذلك في مجمله يرجع إلى ثلاث نواح هي الشكل والمنطلق والغاية.

فمن الناحية الشكلية: من المؤلفين من اتبع منهج السرد والقص والحكي، كما نقرأه في "الرحيق المختوم"، لصفي الرحمن المباركفوري، ومنهم من اتبع منهج الاستقراء والتقصي للأخبار والاستنتاج، كما نجده في "الأساس في السنة وفقهها : السيرة النبوية" لسعيد حوى، ومنهم من تتبع السيرة لدى الشعراء المحدثين مثل "محمد صلى الله عليه وسلم في الشعر الحديث" لحلمي القاعود.

ومن ناحية المنطلق من كتاب السيرة المحدثين والمعاصرين من ينطلق في قراءته للسيرة من منطلق الدعوة الإسلامية وفقهها مثل "فقه السيرة" للشيخ محمد الغزالي، ومنهم من ينطلق من قواعد الحركة الإسلامية وآدابها ومقتضياتها ك "المنهج الحركي للسيرة النبوية" لمنير محمد الغضبان، ومنهم من ينطلق من عاطفة الحب النبوي ككتاب "هذا الحبيب محمد صلى الله عليه وسلم يا محب" للشيخ أبي بكر الجزائري .

ومن ناحية الغاية: تعتمد مناهج المؤلفين المحدثين في السيرة النبوية إما على البعد التربوي وإما على استهداف تصحيح المفاهيم أو تحريك الهمم والمشاعر أو تقوية الإيمان أو لفت الأنظار إلى النظم الإسلامية في الجوانب الاقتصادية أو السياسية أو الاجتماعية للإيعاز بضرورة تطبيق الشريعة الإسلامية، ومن هذا النوع "السيرة النبوية : دروس وعبر" للشيخ مصطفى السباعي، و"فقه السيرة" للدكتور محمد سعيد رمضان البوطي، ومن الباحثين المحدثين من رمى إلى عرض جهود السابقين في التأليف في السيرة النبوية والتعريف بهم وبأعمالهم، كما نجده في "المصنفات المغربية في السيرة النبوية ومصنفوها" للدكتور محمد يسف.

ونستعرض فيما يلي نموذجين من أساليب أولئك الباحثين المحدثين في تناول السيرة النبوية :

الأول للداعية سعيد حوى رحمه الله تعالى ، والثاني لمحمد منير الغضبان .

نموذج أول : السيرة النبوية بين لغتين : لغة الرواية ولغة الشعر والحب. لسعيد حوى

متى دخل الإنسان في الإسلام فقد وجبت عليه فرائض، ومن الفرائض التي تفترض على المسلم حب رسول الله صلى الله عليه وسلم : "لا يؤمن أحدكم حتى أكون أحب إليه من والده وولده والناس أجمعين". ،من الفرائض على المسلم أن يحب في الله ويكره في الله، وأن تكون عواطفه مع المسلمين، وأن يحب ما أحب الله ورسوله، وأن يعظم شعائر الله، ومن ثم فإن الإسلام بالنسبة للمسلم لا يكون عقله فقط، بل يكون عواطفه.

وعلى هذا فالمسلم في أي قضية من القضايا له موقف قلبي وجداني، كما أن له موقفا عقليا، فهو يكره الشرك والمشركين، والكفر والكافرين، والنفاق والمنافقين كراهية عقلية وكراهية وجدانية، وهو ذو موقف عملي وعقلي ووجداني من أى قضية من قضايا الصراع بين الكفر والإيمان.

هذا موضوع مهم جدا يغفل عنهم الكثيرون، وبناء عى هذا فالمسلم بالنسبة لسيرة رسول الله (ص) ليس له موقفه عقليا فقط بل هو موقف وجداني كذلك.

فمولد رسول الله (ص) عنده ونشأته وطفولته وشبابه وخلوته ودعوته وموقف الناس منه، وإسراؤه ومعراجه وهجرته وغزواته وأحواله وأقواله ووفاته، كل ذلك له جانب عاطفي وجداني يتجاوز جوانب المعرفة المحض.

ترى لو أن إنسانا كانت عواطفه مع المشركين يوم بدر هل يمكن أن يكون مسلما حتما لا، وإذن فالجانب العاطفي والوجداني من أحداث السيرة هو جزء من أجزاء الإيمان ولازم من لوازمه، ومن ثم فإن أي مسلم في العالم لا ينظر إلى سيرة رسول الله صلى الله عليه وسلم نظرته إلى بقية السير، ولايتكلم عنها بلغة منفصلة عن لغة الحب، حتى وهو يعرض هذه السيرة عرضا إخباريا محضا، فإن الجانب الآخر موحد ضمنا . ولئن وجد من المسلمين من عرض للسيرة بلغة الأخبار أو التحليل أو التدليل دون أن تظهر القضايا العاطفية في كلامه، فإن آخرين تكلموا بلغة الحب فقط عن كل قضية في السرية، وحيثما وجد الحب وجد الشعر، ومن ثم فقد عبر المعبرون عن قضايا السيرة بلغة الحب شعرا، وهو جانب يعتبر مكملا لأي حديث، عن سيرة رسول الله صلى الله عليه وسلم، فلئن كان خطاب الكافرين يقتضي تحليلا وتعليلا وتدليلا، فإن خطاب المسلمين وكلام المسلمين عن رسولهم عليه الصلاة والسلام يقتضي حبا ووجدانا.

ونحب في هذا الفصل أن نذكر نماذج على تكميل لغة الشعر والحب للغة الراوية في تأدية حق رسول الله صلى الله عليه وسلم :

قالت لغة الرواية : إن رسول الله صلى الله عليه وسلم ولد في ربيع الأول، وأن له نسبا يصل إلى إبراهيم عليه السلام، وقالت لغة الحب والشعر :

لم تزل في ضمائر الكون
تختار لك الأمهات والآباء
يقول لنا لسان الحال منه
وقول الحق يعذب للسميع
فوجهي والزمان وشهر وضعي
ربيع في ربيع في ربيع

❖❖❖

إنما موكب الربيع احتفاء
كل عام بعيد مولد أحمد

❖❖❖

ما كان ميلاد الرسول المصطفى
إلا الربيع نضارة وتضوعا
يوم أعز كفاك منه أنه
يوم كأن الدهر فيه تجمعا

❖❖❖

يوم يتيه على الزمان صباحه
ومساؤه بحمد وضاء

وحدثتنا لغة الرواية عن غار حراء ونزول الوحي على رسول الله صلى الله عليه وسلم فيه. وقالت لغة الشعر :

يا مغاني حراء إذا مسها أول وحي أتى به جبريل
هزت (اقرأ) شماريخ ذراها ورجها التنزيل
وتلقت جبال مكة أمر الله (اقرأ) أصداؤها تهليل

أي أمر هذا الذي اهتز منه السهل والوعر والفلا والتلول

وحدثتنا لغة الرواية عن دعوة رسول الله صلى الله عليه وسلم قومه وما عانى فيها، وقالت لغة الشعر :

ثم قام النبي يدعو إلى الله
وفي الكفر نجدة وإباء
ويح قوم حفوا نبيا بأرض
ألفته ضبابها والظباء

هذه نماذج على تكامل لغة الرواية والشعر في تأدية حق رسول الله صلى الله عليه وسلم وحق سيرته من أجل إيجاد المعرفة الصحيحة والعاطفة الصحيحة، وكلاهما مرغوب ولكل منهما محله.

سعيد حوى : السيرة بلغة الحب والشعر : الطبعة الأولى، دار السلام 1405 ص : 24-31

نموذج ثان :

الحج الأكبر ومائة وثلاثون ألفا من المسلمين. لمنير محمد الغضبان

قال ابن إسحاق : وحدثني عبد الله ابن نجيح أن رسول الله صلى الله عليه وسلم حين وقف بعرفة قال : "هذا الموقف للجبل الذي هو عليه، وكل عرفة موقف"، وقال حين وقف على (قزح) صبيحة (المزدلفة) : "هذا الموقف، وكل المزدلفة موقف" . ثم لما نحر بالمنحر بمنى قال "هذا المنحر، وكل منى منحر"، فقضى رسول الله صلى الله عليه وسلم الحج وقد أراهم مناسكهم وأعلمهم ما فرض الله عليهم من حجهم، من الموقف ورمي الجمار وطواف البيت، وما أحل لهم من حجهم وما حرم عليهم، فكانت حجة البلاغ، وحجة الوداع، وذلك أن رسول الله صلى الله عليه وسلم لم يحج بعدها.

ارتبط مع حجة الوداع نزول قول الله عز وجل : "اليوم أكملت لكم دينكم وأتممت عليكم نعمتي ورضيت لكم الإسلام دينا، فمن اضطر في مخمصة غير متجانف لإثم فإن الله غفور رحيم".

وفي صدد الحديث عن المنهج الحركي نقف على عتبة النهاية لهذه الخطوات التي ابتدأت بقول الله عز وجل : "اقرأ باسم ربك الذي خلق خلق الإنسان من علق، اقرأ وربك الأكرم الذي علم بالقلم، علم الإنسان ما لم يعلم".

ابتدأ الإسلام بشخص رسول الله صلى الله عليه وسلم في مكة في جبل غار حراء وهو شاخص ببصره بين الأرض والسماء، وجبريل يقول له : أنت رسول الله وأنا جبريل، وهاهي تنتهي بجوار غار حراء وعند الصخرات من جبل عرفة، وحوله مائة وثلاثون ألفا من المسلمين يمثلون جزيرة العرب قاطبة، ومن هذا الموقع وفي هذا الموقف يعلن عليه الصلاة والسلام إتمام المهمة وتبليغ الرسالة وإكمال الدين على لسان نبيه محمد صلى الله عليه وسلم.

"اليوم أكملت لكم دينكم وأتممت عليكم نعمتي ورضيت لكم الإسلام دينا"، لقد ابتدأت القاعدة الصلبة قبل ثلاث وعشرين عاما بشخص رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وانتهت هذه المجموعات الضخمة التي تمثل الأرض العربية آنذاك.

وأمام هذا الحشد الضخم من الأمة، كان الخط الأول : "خذوا عني مناسككم" وبذلك تتجه الأمة لترى رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو على راحلته يؤدي المناسك فيقتدي الناس جميعا به، ويرونه وهو على الراحلة بحيث يتم بهذه العملية إلغاء كل المناسك الوثنية التي كانت موجودة في أرض الحرم، والحج هو أعظم تجمع بشري في ذلك الوقت، فلا بد من إيضاح المعالم الكبرى للدعوة، والتي يتم عليها التقاء البشر جميعا لما لها من أهمية خالصة، وحيث يقف الناس جميعا بعرفة، أعلن المبادئ الكبرى على الناس جميعا، وهي :

أولا : حرمة الأموال والدماء والأعراض وهذا يمثل الخط الفاصل بين الإسلام ونظم الأرض، فالشيوعية اليوم تجعل لاأموال والأعراض والدماء في حكم المشاع، كما أن الراسمالية تبيح الأ عراض وتنتهك الأموال وتسفك الدماء، والميزان الحقيقي الموجود الإسلامي في الأرض هو الحفاظ على حرمة الدماء والأموال والأعراض.

ثانيا : حرمة الربا، وهو الهرم الذي يرتفع الظلم فيه حتى يسحق الفقراء في الأرض.

ثالثا : العدل، وهو سمة الإسلام الأولى في هذا الوجود، وبه قامت السماوات والأرض، ومن أجل ذلك فأول ربا يوضع هو ربا العباس بن عبد المطلب عم محمد صلى الله عليه وسلم .

رابعا : حقن الدماء، وذلك حيث يتحول الحكم الإسلامي إلى القصاص، والانتقال من مفهوم الثأر إلى مفهوم القصاص هو انتقال من العشيرة إلى الدولة، ومستوى العدل نفسه في الربا هو نفسه في الدماء "وإن أول دم أضعه هو دم ربيعة بن الحارث بن عبد المطلب" . والأمة التي تصان أرواحها ودماؤها هي أمة متقدمة جدا في مضمار الحضارة والمدنية، وأن يكون الأمن مستتبا هو الذي يحقق السعادة للأمة.

خامسا : إلغاء الوثنية، فلن تعود الوثنية للأرض العربية أو تعود الأصنام والأوثان إليها بعد أن جاء الحق وزهق الباطل، لكن الشيطان سيتدخل في صرف الناس عن الاستقامة على دين الله.

سادسا : حرمة التلاعب بدين الله، فقد انتهى دور الشيطان في أرض الإسلام أن يعيد لها الوثنية من جديد، لكنه قد يدخل في دين الله ما ليس فيه يشرع الناس ما لم يأذن به الله، إنها الحاكمية لله تعالى وليست للبشر، فالنسيء نموذج من هذه النماذج، وهو تأخير الأشهر الحرم والتلاعب فيها ، يضل به الذين كفروا يحلونه عاما ويحرمونه عاما ليواطئوا عدة ما حرم الله فيحلوا ما حرم الله ، وهذه هي القضية التي يقوم عليها الصراع بين الإسلام والجاهلية : إن الحكم إلا لله، فقضى ألا تعبدوا إلا إياه، ذلك الدين القيم.

سابعا : حق الرجل على المرأة، ومن خلاله يتبلور النظام الاجتماعي في الإسلا م، فالمرأة تبع للرجل، والقوامة للرجل على المرأة، والمفهوم الإسلامي للأسرة هو أن تكون المرأة وفقا على الرجل ولا تأتي بالفاحشة البينة، وعند الفاحشة فللرجل قسر المرأة وقصرها عليه ولو بالضرب غير المبرح والهجر في المضجع والموعظة الحسنة .

ثامنا : حق المرأة على الرجل، وهي حين حبست نفسها عليه فعليه رزقها وكسوتها بالمعروف، وعليه أن يحسن المعاملة، فهي أمانة لله عند الرجال، وبكلمات الله استحلت فروجهن، فاستوصوا بالنساء خيرا.

تاسعا : ودستور الأمة ينطلق من المصدرين الأساسيين ، ومناط التشريع عليهما : كتاب الله تعالى، وسنة رسول الله صلى الله عليه وسلم، ولا ضلال لمن تمسك بهما .

عاشرا : الرابطة العليا في الأمة هي رابطة العقيدة ورابطة الإسلام، فالأخوة من خلالها : "تعلمنا أن كل مسلم أخ للمسلم ، وأن المسلمين إخوة فلا يحل لامرئ من أخيه إلا ما أعطاه عن طيب نفسه "

(منير محمد الغضبان : المنهج الحركي للسيرة النبوية الطبعة الرابعة، مكتبة المنار، الأردن 1409 201-198/3)

كان خلقه القرآن

■ إعداد الأستاذ : عبد الله حزوط

من حديث عائشة رضي الله عنها

الخلق غريزة في النفس تصدر عنها الأفعال بيسر وسهولة من غير فكر ولا روية، ويطلق الخلق أيضا على أثر هذه الغريزة الذي يظهر في القول أو الفعل،

وهذا الخلق الذي يظهر على الجوارح من أثر الملكة أو الهيئة النفسية منه ماهو ممدوح ومنه ماهو مذموم ، والناس متفاوتون في ذلك.

وقد صح عن ابن مسعود عن النبي صلى الله عليه وسلم، أنه قال:" ان الله قسم بينكم أخلاقكم كما قسم أرزاقكم " رواه البخاري

والنبي صلى الله عليه وسلم كان يقول :" اللهم كما حسنت خلقي فحسن خلقي" أخرجه أحمد

وكان يقول في دعاء الإفتتاح: اللهم اهدني لأحسن الأخلاق لا يهدي لأحسنها إلا أنت ، كما رواه مسلم.

وقد استجاب الله دعاءه فجعله أكمل الناس خلقا.

وشهد له في القرآن شهادة لا تطاولها شهادة فقال:

« وإنك لعلى خلق عظيم»،سورة القلم /الآية:4.

قال بعض المحققين: إن كمال أخلاق النبي نابع من كمال عقله ووفور علمه وقد قال الله في حقه: « وعلمك مالم تعلم وكان فضل الله عليك عظيما» سورة النساء /الآية: 113 قال القسطلاني في المواهب: وقد كان صلى الله عليه وسلم، مجبولا عي الأخلاق الكريمة في أصل خلقته الزكية النقية، لم يحصل له ذلك برياضة نفس بل بجود إلهي. وبهذا لم تزل تشرق أنوار المعارف في قلبه حتى وصل إلي الغاية العليا والمقام الأسنى. وأصل هذه الخصال الحميدة والمواهب المجيدة كمال العقل ، لأن به تقتبس الفضائل وتجتنب الرذائل ، فالعقل لسان الروح وترجمان البصيرة.. إلى أن قال: وقد كان صلى الله عليه وسلم من كمال العقل في الغاية القصوى التي لم يبلغها بشر سواه. ولهذا كانت معارفه عظيمة وخصائصه جسيمة ، حارت العقول في بعض فيض أخاضه من غيبه لديه وكانت الأفكار في معرفة بعض ما أطلعه الله عليه.

وأخلاق النبي في كمالها كانت من أهم العوامل في سرعة استجابة الناس للدعوة التقوا حوله وأنسوا له واطمأنوا للقائه وتغذوا بالحديث معه.

قال تعالى: « فبما رحمة من الله لنت لهم ولو كنت فضا غليظ القلب لانفضوا من حولك» سورة آل عمران الآية 159.

وبهذه الأخلاق القوية لأن العصي وخضع الجبار وذل المستكبر ، وآمن الكافر واهتدى العاصي ، ألم يكن حلمه على من جهل عليه سببا في دخوله الإسلام؟

روى الطبراني وابن حبان والحاكم والبيهقي عن زيد بن سعنة. وهو من أحبار اليهود الذين أسلموا ، أنه قال؟

لم يبق من علامات النبوية شيء إلا وقد عرفته في وجه محمد حين نظرت إليه، إلا اثنتين لم أخبرهما منه ، يسبق حلمه جهله، ولاتزيده شدة الجهل عليه إلا حلما فكنت أتلطف له لأن أخالطه فأعرف حلمه وجهله، فابتعت منه تمرا إلى أجل فأعطيته الثمن، فلما كان قبل محل الأجل بيومين أو ثلاثة أتيت فأخذت وبمجامع قميصه ورادئه ونظرت إليه بوجه غليظ ثم قلت: ألا تقضيني يامحمد حقي ؟ فوالله إنكم يابني عبد المطلب مطل . مماطلون. فقال عمر: ياعدو الله أتقول لرسول الله صلى الله عليه وسلم ما سمع؟ فوالله لولا ما أحاذر قوته لضربت بسيفي رأسك ، ورسول الله ينظر إلى عمر في سكون وتؤدة وتبسم ثم قال : أنا وهو كنا أحوج إلى غير هذا منك ياعمر، أن تأمرني بحسن الأداء وتأمره بحسن الاقتضاء اذهب به ياعمر فاقضه حقه وزده عشرين صاعا مكان مارعنه . أي بدل ترويعك له . ففعل، فقلت ياعمر: كل علات النبوة قد عرفتها في وجه رسول الله صلى الله عليه وسلم حين نظرت إليه إلا اثنتين لم أخبرهما ، يسبق حلمه جهله.

ولا تزيده شده الجهل إلا حلما ، فقد خبرتهما، فأشهدك أني قد رضيت بالله ربا وبالسلام دينا وبمحمد نبيا.

بقية برنامج أنشطة المجلس العلمي بالرباط

المحاضرات الدينية والعلمية

ر.ت	عنوان المحاضرة	موعدها ومكانها	الأستاذ المحاضر
1	الحوار رسالة الإسلام الحضارية	الخميس 29 ماي بالمجلس العلمي بعد صلاة العصر	د . إدريس خرشاف
2	مقومات الشخصية المسلمة في المجتمع المغربي	الأربعاء 5 يونيو " " " "	د. عبد الفتاح الزنيفي
3	سر الحياة من الذرة إلى الخلية	الإثنين 10يونيو " " " "	د. محمد البشبوي

أنشطة أخرى

ر.ت	نوع النشاط	موعدها ومكانه	الأستاذ القائم به
1	درس في الحديث	الجمعة 24 ماي بالمجلس العلمي بعد صلاة العصر	د. عبد الرزاق الجاي
2	درس في التفسير	الجمعة31 ماي " " " "	ذ . المهدي بلخضر
3	درس ديني	الخميس 6 يونيو " " " "	ذ. محمد أصبان
4	درس في الحديث	الجمعة7 يونيو " " " "	ذ عبد الرزاق الجاي

تأملات و خواطر

محمد الخضر الريسوني

خواطر في ذكرى المولد

في ذكرى مولدك يارسول الله تنساب كلماتي وتأملاتي وخواطري ومناجاتي لجوانب عظمتك التي لن يرتقي لها إنسان ولا يحيط بها مخلوق صلى الله عليك ياسيدي يارسول الله.

لقد ضربت أروع أمثال الخير، وأبهى صور الفضائل، لا أتقى منك ولا أنقى ، لا أشجع منك ولا أكرم ، اين منك الريح المرسلة في العطاء؟ اين منك الليوث في الشجاعة والإقدام؟

سيدي يارسول الله ،

مت وأنت لم تشبع من خبز الشعير ، وجعت ليشبع الناس، عرض عليك ربك بطحاء مكة ذهبا فقلت: أنا يارب ككل الناس أجوع يوما فأحمد الله .. وأشبع يوما فأشكر الله.

هجرت من بيتك، طوردت وأصحابك، عذبت وأتباعك ، سال الدم من جسدك الطاهر ، تقبلت ذلك برضى ومازدت أن قلت : اللهم اهد قومي فإنهم لا يعلمون.

سيدي رسول الله،

كنت مع رقتك وصفائك ولطفك ، كنت أبيا قويا بالله ، شجاعا تعنو لهيبتك الأهوال ، وتذل لقوتك الأبطال ، أما قال عنك سيدنا علي رضي الله عنه : كنا إذا اشتد البأس واحمرت الحدق اتقينا برسول الله فما يكون أحد أقرب إلى العدو منه.

لقد وصف سيدنا عمر بن الخطاب بيتك فقال : هو حجرة أقرب إلى الضيق منها إلى السعة ، في وسطها حصير، على الحصير وسادة حشوها ليف، أما غطاؤك فقطيفة، إن غطت رأسك الشريف كشفت قدماك، وفي زاوية الحجرة حفنات من شعير . هي طعامك وطعام آل بيتك الأطهار بكى عمر مما رأى، قلت له ياسيدي يارسول الله: أفي شك أنت ياعمر؟ قال: لا يارسول الله، لكن أبكاني أنك صفوة خلق الله، وهذا بيتك. وهذا طعامك وكسرى وهرقل يرفلان في النعيم، قلت ياسيدي لعمر: أما ترضى ياابن الخطاب أن تعجل لهم طيباتهم في الدنيا ولنا الآخرة. ياعمر: ما الحياة الدنيا إلا متاع الغرور ، وما أنا وأنت في هذه الدنيا إلا كراكبي فرس استظلا في ظل شجرة ساعة من نهار .. ثم تركاها.

سيدي .. يارسول الله،

مشركو مكة يعرضون عليك المال حتى تكون أغناهم، والجاه حتى تكون سيدهم ، والعز والسلطان حتى تكون أرفعهم، وأجبتهم سيدي بمثل هدير البحر: « والله يا عم لو وضعوا الشمس في يميني والقمر في يساري على أن أترك هذا الأمر ، ماتركته حتى يظهره الله أوأهلك دونه ».

كنت سيدي ياحبيب الله ذلك الرجل المتواضع في بيتك ، تغسل ثوبك، وتحلب شاتك، وتخصف نعلك، تأكل مع الخادم، وتعود المرضى ، وتجود على المحتاج.

أحببت ياسيدي .. الإنسان والحيوان والنبات وكنت تقول : تمسحوا بالأرض فإنها بكم برة . أما امرك اليومي للمجاهدين من جنودك فكان : لاتقتلوا وليدا ولا شيخا ، ولا امراة، ولا تقطعوا شجرا ، ولاتمثلوا بأحد ، واليوم يارسول الله يقتل الأطفال والنساء والشيوخ في فلسطين وغيرها من بلاد الإسلام.

علمتنا ياسيدي أن الكلمة الطيبة صدقة ، والنظرة الحانية صدقة والحب عطاء ، والحقد وباء ، والبناء عبادة ، وجهد الفلاح مشكور ، وعمل العامل ثواب .. أما شددت يارسول الله على يد عامل اخشوشنت من العمل وقلت هذه يد يحبها الله ورسوله.

سيدي ياحبيب الله،

أتيت والناس فوضى لا تمر بهم
إلا على ضنم قد هام في صنم
والأرض مملوءة جورا مسخرة
لكل طاغية في الخلق محتكم
مسيطر الفرس يبغي في رعيته
وقيصر الروم من أكبر أصم عمي

فشرعت لهم . يارسول الله . حقوق الإنسان ، وعلمت بالقرآن ، ودعوت إلى التوحيد والإيمان ، وأنقذت الإنسانية مما كانت تتردى فيه من ظلم وكفر وطغيان.

النشيد النبوي

■ للشاعر علال الفاسي

أيها المسلم فخرا
بالنبي المصطفى
كلما أحييت ذكرا
ه حبيت الشرفا

○○○

أحمد الهنادي الرسول
من أتانا بالهدى
وحمى كل العقول
من خرافات العدا (أ)
فغدا الفكر يصول
واختفى ما ألفا

○○○

أيها المسلم فخرا
بالنبي المصطفى
كلما أحييت ذكرا
ه حبيت الشرفا

○○○

أدرك القوم علي
حالة يرثى لها
فدعاهم للعلا
فأجابوه لها
واغتدوا خيرا الملا
وانمحى ذاك الجفا

○○○

أيها المسلم فخرا
بالنبي المصطفى
كلما أحييت ذكرا
ه حبيت الشرفا

○○○

إن في الإسلام معنى
ليس يلفى في سواه
فهو بالإخلاص يعنى
بعد توحيد الإلاه
وهو يبغي بعد منا
أن نرى الدين الوفا

○○○

أيها المسلم فخرا
بالنبي المصطفى
كلما أحييت ذكرا
ه حبيت الشرفا

○○○

إنني ما دمت حيا
لحمى الدين فداء
أحرس الكنز المهيا
للألى راموا الإخاء
وأنادي القوم هيا
ترجعوا (أ) ما سلفا

○○○

أيها المسلم فخرا
بالنبي المصطفى
كلما أحييت ذكرا
ه حبيت الشرفا

○○○

سأنادي القوم جدوا
واستعدوا للعمل
وانهضوا كيما تردوا
ذلك الفخر الجلل
واستفيقوا واستعدوا
كي (ب) تعيشوا شرفا

○○○

وأنادي القوم ربوا
ذلك النشء الأمين
ليس في الإسلام ذنب
مثل إهمال البنين
فهم للدين زرب
كم (ج) يقيه التلفا

○○○

أيها المسلم فخرا
بالنبي المصطفى
كلما أحييت ذكرا
ه حبيت الشرفا

○○○

مسلما عشت وحسبي
أن أرى في المسلمين
من أقاموا دين ربي
رغم أنف الكافرين
مسلما عشت وحسبي
ذاك فخرا، وكفى

○○○

أيها المسلم فخرا
بالنبي المصطفى
كلما أحييت ذكرا
ه حبيت الشرفا

○○○

أيها المسلم كابد
في سبيل الشرف
واعتقد أنك عائد
للمقام السلفي (أ)
فلك الله معاضد
وعده لن يخلفا

○○○

أيها المسلم فخرا
بالنبي المصطفى
كلما أحييت ذكرا
ه حبيت الشرفا

نشر هذا النشيد سنة(1937)ديوان علال الفاسي، جمع وتحقيق عبد العلي الودغيري 131-128/1

الرسالة وبعث إنسانية الإنسان

■ بقلم : وليد ابراهيم

ما قيمة الرسالات إلا أن تصنع إنسانية الإنسان فلا يكون هناك تمايز طبقي ولا عدوان ولا انتهاك لحقوق الإنسان إننا لكثرة ما سمعنا من رسالات كلامية وشعاراتية معاصرة على هيئة أحزاب ومنظمات وتشكيلات مختلفة أصبحنا يائسين من المعدن الإنساني لولا تجربتنا التاريخية الإسلامية التي جاءت بكل المثل الإنسانية الرفيعة.

ماذا عسى المرء أن يقول إزاء المبعث النبوي الشريف وقد قيل الكثير الكثير ففي هذا اليوم سجل التاريخ انعطافاته العظمى وسجلت البشرية تحولها الأعظم وتوج الإنسان إنسانا على أكمل صورة.

أخشى أن أدخل مثالية الكتابة وشاعرية التعبير فالحدث أي المبعث أكبر من مستوى الكتابة والتعبير ولكن اسمحوا لي أن أخذكم إلى التاريخ لألتقط صورة واحدة .. واحدة فقط لإنسانية الإسلام والرسول وأهل بيته عليه وعليهم السلام كيف أنهم قدموا كل شيء للرسالة رسالة المستضعفين.

أعرابي من بني سليم كان قد أسلم لتوه في تلك الأيام الصعبة التي كان يمر بها المسلمون فطلب رسول الله (ص) أحدا يزوده بالطعام فوثب سلمان وأخذ بيده وطاف تسعة أبيات من بيوت رسول الله (ص) فلم يجد عندهن شيئا فلما ولى راجعا نظر إلى حجرة فاطمة (ع) فقال في نفسه : "إن يكن خيرا فمن منزل فاطمة " فقرع الباب وشرح لها قصة الأعرابي فقالت له : يا سلمان ... والذي بعث محمدا (ص) بالحق نبيا أن لنا ثلاثا ما طعمنا وأن الحسن والحسين قد اضطربا علي من شدة الجوع ثم رقدا كأنهما فرخان منتوفان (ثم استدركت) : ولكن لا أرد الخير إذا نزل الخير ببابي !

وخلعت قميصها وقالت : يا سلمان خذ درعي هذا ثم امض إلى شمعون اليهودي وقل له : تقول لك فاطمة بنت محمد : أقرضني عليه صاعا من تمر وصاعا من شعير أرده عليك إن شاء الله تعالى، فأخذ سلمان الدرع ثم أتى به إلى شمعون اليهودي وعرض عليه طلب الزهراء فأخذه شمعون وجعل يقلبه في كفه وعيناه تذرفان بالدموع وقال : يا سلمان هذا هو الزهد في الدنيا .. هذا الذي أخبرنا به موسى بن عمران في التوراة.

وانفجر صارخا بانفعال شديد : (أنا أشهد أن لاإله إلا الله وأشهد أن محمدا عبده ورسوله) ثم دفع إلى سلمان صاعا من تمر وصاعا من شعير فأتى به سلمان إلى فاطمة فطحنته بيدها على عجل واختبزته و أعطته إلى سلمان وقالت : خذه وامض به إلى النبي .

فقال لها سلمان : يا فاطمة خذي منه قرصا تعللين به الحسن والحسين، فقالت : يا سلمان هذا أمضيناه لله عز وجل لسنا نأخذ منه شيئا، فأخذه سلمان فأتى به النبي فلما نظر إليه (ص) قال : يا سلمان من أين لك هذا؟ ... قال : من منزل ابنتك فاطمة ... فوثب النبي إلى حجرتها وقرع الباب ففتحت له ولما شاهدها تعجب وقال بمرارة وأسى : يا بنية .. ما الذي أراه من صفار وجهك وتغير حدقتيك؟ قالت : يا أبت .. إن لنا ثلاثا ما طعمنا طعاما، وإن الحسن والحسين قد اضطربا علي من شدة الجوع ثم رقدا كأنهما فرخان منتوفان ... فأخذ النبي واحدا على فخده الأيمن والآخر على فخده الأيسر واعتنق فاطمة ... فدخل علي واعتنق النبي من وراءه .. فرفع النبي طرفه نحو السماء وقال : " إلهي وسيدي ومولاي ... هؤلاء أهل بيتي .. اللهم اذهب عنهم الرجس وطهرهم تطهيرا ..."

لا أدري كم عندنا اليوم من العوائل الحاكمة أو صاحبة الرسالات مثل عائلة رسول الله العظيمة، هذه بعض معاني البعثة النبوية الإنسانية.

خديجة البطار كان بينها وبين الحق حجاب...

الحلقة الأخيرة

■ محمد رستم

ثم ماذكرته الكاتبة عن ابن حجر، وأنه ضعيف جريرا، غير صحيح، بل إنه نقل أقوال المعدلين له، ثم قال: "وقال ابن سعد:ثقة، إلا أنه اختلط في آخر عمره" قلت: لكنه ماضره اختلاطه لأن أحمد بن سنان قال: سمعت ابن مهدي يقول: كان لجرير أولاد، فلما أحسوا باختلاطه حجبوه، فلم يسمع أحد منه في حال اختلاطه شيئا" واحتج به الجماعة" هذا كلام ابن حجر بحروفه، فأين ماادعت الكاتبة؟!

وأما مانقلته الكاتبة عن ابن حجر من قوله في "التقريب" : "له أوهام إذا حدث من حفظه"، فهو دليل ساطع على تحريفها وتزويرها لما تنقله عن أهل العلم، إذ حذفت الكاتبة من أول الكلام مالايتناسب مع هواها، حتى تروج باطلها، ففي أول الكلام قال الحافظ ابن حجر: "جرير بن حازم.... ثقة لكن في حديثه عن قتادة ضعف وله أوهام..."فانظر. رحمك الله . كيف يكون سبيل من يدعو إلى محاربة فقه التطرف واللاعقل في الإسلام!!!

ج . عمران بن حطان السدوسي: ذكرت الكاتبة أنه خارجي، بل زعيم الخوارج، ونقول: نعم لقد كان الرجل كذلك مع الثقة والعدالة، ذكره بذلك العجلي، وقال قتادة: "كان لايتهم في الحديث"، وقال أبو داود: "ليس في أهل الأهواء أصح حديثا من الخوارج"، ثم ذكر عمران هذا وغيره.

ونستحب للكاتبة أن تلم ههنا بقاعدة جليلة، نلخصها في أن عمدة قبول الرواية حصول الظن بصدق الراوي، وعدم إقدامه على الكذب، ذلك لأن من أئمة الحديث من أخرج حديث جماعة فيهم المرجئ والقدري والناصبي، والسعي الغالي، والخارجي، وهم كما يقول الصنعاني . قطرة من رجال الكتب السنة، وحكموا بصحة أحاديثهم مع الإبتداع، وذلك دليل ناهض على إجماعهم على أعمدة قبول الرواية حصول الظن بصدق الراوي.

وأما قول الكاتبة في عمران بن حطان: "وقد أخرج له البخاري أحاديث في صحيحه مع أنه من أصحاب البدع"، فنقول لها: وأين تلك الأحاديث في صحيح البخاري؟! إنما هو حديث واحد أخرجه البخاري من رواية يحيى بن أبي كثير عنه، قال ابن حجر: "وهذا الحديث إنما أخرجه البخاري في المتابعات، فللحديث عنده طرق غير هذه..."

خ . عتاب بن بشير الجذري: نقلت الكاتبة أقوالا في تضعيفه ثم قالت: "...كما بين ابن حجر في مقدمة فتح الباري ضعفه"، ويخيل إلي أن الكاتبة لاتعرف أن ابن حجر في "مقدمة فتح الباري"، ينتصر لرجال البخاري الذين تكلم فيهم علماء الجرح والتعديل، وأنه عقد لذلك فصلا سماه: "في سياق أسماء من طعن فيه من رجال هذا الكتاب مرتبا لهم على حروف المعجم، والجواب عن الإعتراضات موضعا موضعا، وتمييز من أخرج له منهم في الأصول، أو في المتابعات..." فأين تضعيف ابن حجر لهذا الرجل؟! لقد نقل الحافظ أقوال المعدلين والمجرحين، وهي قليلة، ثم ذكر أن البخاري أخرج له حديثين: أحدهما توبع عليه، والآخر أخرجه البخاري مقرونا. فأين ما ادعت الكاتبة؟! وبالجملة فإن الرجال الذين أخرج لهم البخاري، قد جازوا القنطرة، ولايلتفت إلى ما قد يقال فيهم، ويقول أبو الفتح القشيري تعليقا على هذا المعنى: "وهكذا نعتقد، وبه نقول: ولا نخرج عنه إلا بحجة ظاهرة، وبيان شاف..."

وأنت أيها القارئ الكريم، فلا يهولنك، تعظيم الكاتبة، لمسألة كلام بعض علماء الجرح والتعديل في رجال البخاري، وقولها: "وتطول اللائحة، ولايسمح هذا المجال بذكر كل الضعفاء والمتروكين من رجال البخاري"، فإن ذلك كله فيه تهور وإسراف، وأهل العلم بالحديث ونقاده قد فرغوا من هذا الأمر من قرون، ونفضوا منه أيديهم، واستقر في الأذهان، أن أصح الكتب بعد كتاب الله" الصحيحان، وذلك يقتضي تعديل رجاليهما، والثقة بهم، والحمد لله رب العالمين.

وإذا بقي في صدرك أيها القارئ الكريم شك مما ذكرته، فدونك هدي الساري لابن حجر، فإنه ذكر تلك اللائحة التي أشارت إليها الكاتبة، واستقصى رجالها، وتكلم فيهم بالعدل والإنصاف، وخلص إلى أن الصواب مع البخاري في تخريج أحاديثهم.

ولقد كنا نظن أن الكاتبة تذكر من جرح من رجال البخاري، الذين أخرج لهم في "الصحيح"، حتى كشف لنا البحث أنها تذكر أيضا من لم يخرج له في "الجامع"، كإسماعيل بن عياش الحمصي أبي عتيبة، الذي أخرج له البخاري في "جزء رفع اليدين في الصلاة"، وهذا دليل على تخبط الكاتبة، وتدليسها!!

وذكرت الكاتبة حفص بن ميمون، وهو حفص بن عمر بن ميمون الأبلي، وهو الذي ذكره العقيلي في الضعفاء، كما ذكرت الكاتبة، لكنها جازفت لما قالت: "... فقد أخرج له البخاري شيئا من أكاذيبه"، إذ الرجل ليس من رجال البخاري، بل وليس من رجال الكتب الستة البتة، ولم يخرج له البخاري في أحد كتبه المفردة في الموضوعات المعروفة، فمن أين خيل للكاتبة أنه من رجال البخاري؟!

7. ومضت الكاتبة في طعنها في البخاري، فاتهمته بالتدليس، ولو أن الكاتبة أنصفت، لساقت تقول أهل العلم الناطقة بذلك، المصرحة في نفس الوقت بنفي التدليس عن البخاري، لكنها تأخذ من النقول ماتشاء، وتدع منها ماتشاء، وذلك لعمر الله صنيع المروج لباطله، المبتلى بالتحريف والتدليس!!

وحقيقة الحال في تدليس البخاري، أن الحافظ أبا عبد الله بن منده قال: "أخرج البخاري في كتبه الصحيحة وغيرها":قال لنا فلان" وهي إجازة، و"قال فلان" وهو تدليس..." وقال العراقي معترضا على ابن منده: "... وهو مردود عليه، ولم يوافقه عليه أحد علمته، والدليل على بطلان كلامه أنه ضم مع البخاري مسلما في ذلك، ولم يقل مسلم في صحيحه بعد المقدمة عن أحد من شيوخه: "قال فلان"، وإنما روى عنهم بالتصريح، فهذا يدلك على توهين كلام ابن منده..."

فهل نقلت الكاتبة كلام العراقي، الذي أورده سبط ابن العجمي في " التبيين لأسماء المدلسين" وهو الكتاب الأول الذي أحالت عليه في نسبة البخاري إلى التدليس؟!!!

وأهل الحديث لما تكلموا على هذا الموضوع، قالوا: إن ما يقول فيه البخاري: "قال فلان" محمول على الإتصال كالإسناد المعنعن. ويقول ابن الصلاح شارحا مقصود البخاري من هذا الضيع: "... والبخاري رحمه الله قد يفعل مثل ذلك، لكون ذلك الحديث معروفا من جهة الثقات عن ذلك الشخص الذي علقه عنه، وقد يفعل ذلك لكونه قد ذكر ذلك الحديث في موضع آخر من كتابه مسندا متصلا..."

ولما علق ابن حجر على قول العراقي: "والبخاري ليس مدلسا" . قال:"أقول: لايلزم من كونه يفرق في مسموعاته، بين صيغ الأداء من أجل مقاصد تصنيفه، أن يكون مدلسا، ومن هذا الذي صرح أن استعمال "قال"" إذا عبر بها المحدث عما رواه أحد مشايخه، مستعملا لها، فيما لم يسمعه منه يكون تدليسا؟!.

8 وزعمت الكاتبة . أن البخاري تفرد بقبول يعقوب ابن حميد بن كاسب، وأنه قال فيه: "جيد"، وروى له المناكير، وهذا كله لايصح، ولقد أعظمت الكاتبة القرية على البخاري، ذلك أن المنقول الثابت عن البخاري أنه قال في يعقوب بن حميد بن كاسب: "لم نر إلا خيرا، هو في الأصل صدوق"، نقل ذلك الكلاباذي والباجي والذهبي، وغيرهم، ثم إن قولها إنهم أجمعوا على تضعيف وتجريح ابن كاسب فيه مجازفة عظيمة،وهذا ابن حجر يقول عند أول ترجمته: "مختلفه في الإحتجاج به".

وقولها: "وروى له المناكير: هو المنكر بعينه، ماروى له البخاري إلا في موضعين، وذكره فيهما غير منسوب، قال ابن حجر في الموضع الأول: "الذي يترجح عندي أنه الدورقي"، وقال في الموضع الثاني:"الراجح... أنه إما الدورقي، وإما ابن محمد الزهري"، لكن ابن حجر رجح في "هدى الساري" أنه ابن كاسب في الموضع الأول، وقال عن الموضع الثاني: "يغلب على ظني أنه الدورقي" وأيا كان ذلك، فللإمام البخاري أن يروي عن ابن كاسب، إذا غلب على ظنه صدق الرجل، وهو رحمه الله سيد العارفين، بصناعة الجرح والتعديل، وإليه المرجع فيها.

وزعمت الكاتبة أن أهل الحديث أجمعوا على توثيق عبد الجبار ابن الورد، وشذ عنهم البخاري فضعفه، ونحن نستغرب ماذكرته الكاتبة، فعند العقيلي . مرجعها الثاني بعد الكوثري . قول البخاري: "عبد الجبار بن الورد المكي: يخالف في بعض حديثه". فهلا اعتمدت على إيراد العقيلي لعبد الجبار في كتابه على تضعيفه؟!! ثم على فرض كون قول البخاري تجريحا، فقد جرح بعض أهل الحديث عبد الجبار بن الورد، فهذا ابن حبان ذكره في الثقات وقال: "يخطئ ويهم"، وقال السلمي عن الدارقطني:"لين".

وبعد: فإن مسالك نقاد الرجال غامضة دقيقة، لم يرزق العلم بها من يغمز البخاري فيقول: "صاحب الصحيح" ولاصحة،أو من يدعي أن في "الصحيح" طامات كثيرة!!

9. زعمت الكاتبة دون أدنى وجل بأن البخاري أخرج في صحيحه حديثا يسيء إلى النبي (ص)،وهو حديث ابن عباس: "لما اشتد بالنبي (ص) وجعه قال: ائتوني بكتاب، أكتب لكم كتابا لاتضلوا بعده، قال عمر: إن النبي غلبه الوجع،وعندنا كتاب الله حسبا، فاختلفوا، وكثر اللغط، قال: قوموا عني، ولاينبغي عندي التنازع، فخرج ابن عباس يقول: إن الرزية كل الرزية ماحال بين رسول الله (ص) وبين كتابه".

وهذا الحديث الذي أشكل فهمه على الكاتبة، من المتفق عليه، فقد أخرجه مسلم "أيضا في صحيحه،فهو صحيح، بل في الطبقة العليا من الصحة، وإن أبت ذلك الكاتبة.

وزعمت الكاتبة أن هذا الحديث مناقض، لقوله تعالى : "اليوم أكملت لكم دينكم، وأتممت عليكم نعمتي، ورضيت لكم الإسلام دينا". وليس الأمر كما تخيلت الكاتبة، ذلك لأن الذي فهمه عمر من قوله (ص): "ائتوني"، هو غير مافهمه بقية الصحابة الحاضرين، إذ رأى (ض) عنه أن أمر رسول الله (ص) ليس على الوجوب، وأنه من باب الإرشاد إلى الأصلح والأولى، فقال: "حسبنا كتاب الله"، لقوله تعالى : "مافرطنا في الكتاب من شيء"، فأيقن أن الله تعالى لايقبض نبيه حتى يتم دينه لقوله عز وجل: "اليوم أكملت لكم دينكم"، فقنع عمر بهذا، وأراد التخفيف على رسول الله (ص)، لاشتداد المرض، وغلبة الوجه عليه، وهذا من فقه عمر وفطنته.

ورأى بقية الصحابة الحاضرين، المبادرة إلى تنفيذ أمر رسول الله (ص)، تمسكا بظاهر الأمر، واغتناما لزيادة الإيضاح، ورفع الإشكال، فما عنف النبي (ص)الطائفتين، بل قال للجميع كما عند مسلم في صحيحه:"دعوني،فالذي أنا فيه خير"، وماذكرته الكاتبة من أن هذا الحديث، معارض لحديث عائشة الذي يفيد عدم كتمان النبي (ص) لشيء أمر بتبليغه، ظن بعيد، ورأي غير سديد، إذ لو كان مراده (ص) أن يكتب مالايستغنون عنه، لم يتركه لاختلافهم ولالغيره، لقوله تعالى: "بلغ ماأنزل إليك".

ثم في رواية مسلم لهذا الحديث أن رسول الله (ص) قال للصحابة بعد اللغط والتنازع: "...أوصيكم بثلاث: أخرجوا المشركين من جزيرة العرب، وأجيزوا الوفد بنحو ما كنت أجيزهم.." فلو كان ما أمر به من الإتيان بالكتاب ليكتب للصحابة كتابا عزيمة وفرضا مؤكدا، لأمضاه الله كما أمضى هذه الوصايا الثلاث.

ولعل الكاتبة فهمت من قول ابن عباس: "إن الرزية كل الرزية..." أنه يتأسف على مافات تبليغه من الوحي، ونحن نقول، إن ابن عباس قال ما قد قال أثناء تحديثه بالحديث، أسفا على زيادة بيان رسول الله (ص)، الذي هو أولى من بيان غيره.

وثبت أن النبي (ص) عاش أياما بعد هذا الحديث، وحفظ عنه الصحابة أشياء حدثوا بها، وبذلك يسقط ماهولت به الكاتبة من أن لغط واختلاف الصحابة قد حالا دون إكمال الدين!! وأن ذلك مناقض لنص الآية!!

وذكرت الكاتبة حديث أنس: "كان النبي (ص) يدور على نسائه في الساعة الواحدة من الليل والنهار، وهن إحدى عشرة ...قال قلت لأنس: أو كان يطيقه؟قال: كنا نتحدث أنه أعطي قوة ثلاثين..."، وهو حديث أخرجه البخاري في صحيحه،لكن الكاتبة أبت ذلك وقال: "وهذا لم يصح" وقولها هذا منقوض بجملة أمور منها:

1. لاعلاقة بين هذا الحديث الصحيح، وبين ماذكرته الكاتبة من حديث: أتيت بهريسة فأكلتها، فزادت في قوتي قوة أربعين،وفي نكاحي نكاح أربعين"، فهذا الحديث روي من طريق محمد بن الحجاج، وهو وضعه، وغالب طرقه تدور عليه.

(تابع ص: 18)

واحة الميثاق

إعداد الاستاذ: عمر الريسوني

من أقوال وحكم رسول الله (صلى الله عليه وسلم) في الحياة والسلوك

* الخلق السيئ يفسد العمل كما يفسد الخل العسل.

***

* أد الأمانة إلى من ائتمنك، ولاتخن من خانك.

***

* ما من شيء في الميزان أثقل من حسن الخلق.

* الحياء لايأتي إلا بالخير.

***

* إذا لم تستحي فاصنع ماشئت.

***

* مازال جبريل يوصيني بالجار حتى ظننت أنه سيورثه.

***

* إذا نهيتكم عن شيء فاجتنبوه، وإذا أمرتكم بأمر فأتوا منه مااستطعتم.

***

* اتقوا النار ولو بشق تمرة، فمن لم يجد فبكلمة طيبة.

***

* اجتنبوا السبع الموبقات : الشرك بالله، والسحر وقتل النفس التي حرم الله إلا بالحق، وأكل الربا، وأكل مال اليتيم، والتولي يوم الزحف، وقذف المحصنات الغافلات المؤمنات.

***

* بحسب ابن آدم لقيمات يقمن صلبه، فإن كان لامحاله، فثلث لطعامه، وثلث لشرابه، وثلث لنفسه.

***

* من سره أن يسلم فليلزم الصمت.

***

* أحسنوا لباسكم وأصلحوا رحالكم حتى تكونوا كأنكم شامة في الناس.

***

* المرء مع من أحب، ولاخير في صحبة من لايرى لك ماترى له.

***

*لاتختلفوا فإن من كان قبلكم اختلفوا فهلكوا.

***

* إذا بلغ الرجل أربعين سنة ولم يغلب خيره شره فليتجهز إلى النار.

***

* اتقوا الشح فإن الشح أهلك من كان قبلكم، حملهم على أن سفكوا دماءهم، واستحلوا محارمهم.

***

* الدال على الخير كفاعله.

***

* ليس خيركم من ترك الدنيا للآخرة ولا الآخرة للدنيا، لكن خيركم من أخذ من هذه وهذه.

***

* المسلم من سلم الناس من لسانه ويده، والمهاجر من هجر ماحرم الله.

***

* لاتظهر الشماتة بأخيك، فيعافيه الله ويبتليك.

***

* من تواضع لغني لأجل غناه ذهب ثلثا دينه.

***

*الاقتصاد في النفقة نصف المعيشة، والتودد إلى الناس نصف العقل، وحسن السلوك نصف العلم.

***

* منهومان لايشبعان: طالب علم وطالب دنيا.

***

* ثلاثة أنا خصمهم يوم القيامة: رجل عاهد بي ثم غدر، ورجل باع حرا وأكل ثمنه، ورجل استأجر اجيرا فاستوفى منه ولم يؤده أجره.

***

* يحب الله العامل إذا عمل أن يتقن عمله.

* سيدالقوم خادمهم

***

* تداووا عباد ، فإن الله لم يضع داء الاوضع له دواء، غير داء واحد: الهرم.

شذرات علمية وأدبية وتاريخية من التراث

طلب السلامة من أذى الإنسان

حكى أبو جعفر الهروي قال: كنا في طريقنا إلى الحج أنا وحاتم الأصم، فدخلنا بغداد، فقال: أريد أن أرى أحمد بن حنبل، فسألنا عنه، وطرقنا عليه باب داره، فخرج، فقلت له أخوك حاتم، فهش في وجهه ورحب به وعانقه، ثم جلسا يتحدثان، فقال له أحمد بن حنبل: يا حاتم كيف أسلم من الناس؟ أو كيف أنجو من الناس؟ فقال له حاتم: بثلاثة أمور، قال وماهن؟ قال أن تعطيهم مالك كله، ولاتأخذ من مالهم شيئا، وتصبر على أذاهم ولاتؤذ أحدا، وتحمل مكروههم ولا تكره أحدا على شيء.

فجعل الإمام أحمد ينكت الأرض بأصبعه ويقول: إنهن لثقيلة، إنهن لثقيلة، قال حاتم: وليتك تسلم، وليتك تسلم، وليتك تسلم، وليتك تسلم.

وورد أنه مكتوب على ساق العرش:

. لاراحة في الدنيا.

. ولا سلامة من الخلق.

. ولا هروب للموت.

هذه أمور حتمية لا مناص لأحد منها وهذا مثل روسي يقول:

من حذرا من أن تواجه الكبش من مقدمه.

والجواد من خلفه، والإنسان من كل جوانبه.

المصدر: مجلة بريد الشرق العدد4 السنة8/1972م.

طرف من الثرات

سئل أحدهم ماهي الوسائل والطرق التي يحتاج إليها طالب العلم ؟ فأجاب يحتاج إلى عُمُر نوح، ومال قارون ، وصبر أيوب.

فاستدرك عليه آخر، وقال نسيت الرابعة . قال وماهي ؟ قال توفيق الله ، مصداقا لقوله تعالى« واتقوا الله ويعلمكم الله، سورة البقرة / الآية : 282

***

قال ابن القاسم: قال مالك : (ليس العلم بكثرة الرواية ، إنما العلم نور يضعه الله في القلوب).

***

وللإمام الشافعي رضي الله عنه:

شكوت إلى وكيع سوء فهمي
فارشدني إلى ترك المعاصي
وقال: إن العلم نور
ونور الله لا يوتاه عاصي

***

ولأحدهم : العلم في الصدور لا في السطور أي العلم ما حفظت لامادونت.

***

للإمام ابن رشد:

(العلم في الراس وفي العينين ولمن تبقى صنعة اليدين

السيرة النبوية وقصة أم معبد الخزاعية

تناولت كتب السيرة النبوية قصة أم معبد مع زوجها، وكيف وصفت له النبي، وهذه هي القصة:

مر النبي (ص) ومعه الصديق في هجرتهما بخيمة أم معبد، فرأى شاة أضعفها الهزال فاستأذنها ان يحلبها فأذنت، فسمى الله ودعا وحلبها فدرت، فملأ إناء سقاها، وسقى الصديق ثم شرب بعدهما، ثم ملأ الإناء ثانيا وارتحلا فأقبل أبو معبد يسوق عنزا عجافا يتساوكن هزالا فقال: من ابن لك هذا ولاحلوبة في البيت فقالت: مر بنا رجل مبارك، وذكرت قصته فقال صفيه. فقالت:"إنه ظاهر الوضاءة، أبلج الوجه، حسن الخلق لم تعبه ثجلة، ولم تزريه صعلة، وسيم قسيم، في عينيه دعج وفي أسفاره وطف وفي صوته صحل وفي عنقه سطع، أحور أكمل أزج أقرن، شديد سواد الشعر، إذا صمت علاه الوقار وإذا تكلم علاه البهاء، أجمل الناس وأبهاهم من بعيد، وأحسنهم وأحلاهم من قريب، حلو المنطق، فصل لانزر، ولاهذر، كأن منطقة خرزات نظمن ينحدرن ربعة لاتفحمه العين من قصر، ولاتشنؤه من طول، غصن بين غصنين، فهو أنضر الثلاثة منظرا، وأحسنهم قدرا، له رفقاء يحفون به، إذا قال استمعوا لقوله وإذا أمر تبادروا إلى أمره، محفود محشود، لاعابس ولامفند".

قال أبو معبد: لنتبعنه فلحقا به (ص) وأسلما".

سبيل المؤمنين

حول حديث الذباب

■ إعداد الدكتور:توفيق الغلبزوري

وقف حمار الشيخ في العقبة

كنا نتوقع من "مفتية الثقلان" ومحدثة الأحداث، بعد تلك الفضيحة، وذلك الخزي الذي سارت به الركبان، وتحقق منه الخاص والعام، أن تمسك عن تسويد أوراق جريدة "الأحداث" المسودة أصلا وفرعا، أو أن تعترف بجهلها وقصورها فتعود إلى الحق، فإن الرجوع إلى الحق خير من التمادي في الباطل، أو أن ترد على منتقديها ردودا علمية موثقة كما فعلوا هم . تبين فيها خطأهم فيما ذهبوا إليه، إذ لاعصمة لأحد بعد رسول الله (ص).

كنا نتوقع شيئا من هذا، لكن يظهر أن حمار الشيخ قد وقف في العقبة، فكانت "مفتية الثقلان"إلى دأبها القديم، داء الكذب والتلبيس، في إنشاء غث بارد . ورفقا بها هذه المرة كما طلبت هي ذلك نغض الطرف عن طوامها النحوية واللغوية والتركيبية . مدعية أن العلماء لم يقرعوا في ردودهم الحجة بالحجة،وأنه لاشيء في انتقاداتهم سوى السباب الفج العريض (1).

والله تبارك وتعالى يشهد أنها لكاذبة، وهي أول من يعلم كذبها، وقد جرب القراء عليها الكذب والتلبيس غير ما مرة، فلا عجب!! فردود العلماء كانت ردوداموثقة بعشرات من أمهات المصادر والمراجع العلمية التي ألقمتها حجرا بل جمرا، وأقضت مضجعها، فخنست لأسابيع، لم تجد فيها ردا ولاجوابا. وإن كانت هذه الردود قد تخللها، أحيانا، بعض الشدة في العبارة، فإنما الجزاء من جنس العمل، وهذا مشروع ومطلوب مع أمثالها، ولو كانت من أهل العلم والاختصاص لاحترمناها . كما تقول هي عن البخاري (2) . ولكن ماحيلتنا إذا كانت جاهلة كاذبة، وسارقة مقمشة، ومدلسة ملبسة، مما ألقمنا عليه البينة للقراء الكرام، وعلى كل حال، فإننا نورعنا أن نصفها بما وصفت به هي العلماء كالشيطنة والكفر والشرك (3).

وهي تدعو العلماء بعد هذا كله إلى أن يصبروا ولايعاقبوا! ويعلموا ولاينفروا! ويرفقوا ولا يقسوا(4)، أي حلال علينا وحرام عليكم...

حديث الذباب

ونعتذر للقراء الكرام عن هذا الاستهلال الذي لابد منه، إذ لابد مما ليس منه بد، ونعود إلى موضوع هذه الحلقة الذي هو (حديث الذباب)، ذلك أن التي تزببت قبل أن تتحصرم، لم تفقه له معنى، ولم تفهم له مغزى، فراحت تثيره المرة بعد المرة مستدلة بذلك . زعمت . على أن في صحيح البخاري الأكاذيب والموضوعات والخيالات.

ففي آخر مقال . قرأته . من مقالاتها المتهافتة بعنوان : "عن البخاري مرة أخرى: تقليص ظل عصبيات" لم تتورع عن إثارته،فقالت بسخرية وعبث . عليها من الله ماتستحق .: "إن من كان يعبد الله فإن الله حي لا يموت، ومن يتخذ البخاري ندا لله، يحبه كحب الله أو أشد حبا، فإن البخاري قد مات، وترك الذباب حديثا لمن شاء أن يغمسه في السوائل..."(5).

وقالت قبل في بهتان آخر لها تحت عنوان (البخاري والذباب) (6).

بعد أن ساقت حديث الذباب مستهزئة بالامام البخاري والحافظ ابن حجر .: "وبهذا يتبين مراد الحافظ ابن حجر، وهو المطالبة بغمس الذباب كله في الإناء... تقلبه بكلا جناحيه في السائل المراد شربه، ثم شربه بعد ذلك... فهذا هو الطب وإلا فلا!..وهذه شهادات أخرى لعدم أصحية البخاري ومعارضته للقرآن وعدم إلمامه بالصحيح وإساءته للنبي (ص) يادكتورا".۞

تلبيس في التخريج وجهل بفقه الحديث:

وهكذا دواليك، فإن "مفتية الثقلان" لاتدع مناسبة إلا وتغمز وتلمز الإمام البخاري بهذا الحديث، وهذا هو الذي بعثني إلى أن أكتب مرة أخرى، لأعلمها ما تجهل، لأنها أرادت أن تطير ولما تريش، فنسجت فهلهلت، ومشطت ففلفلت، فلا هي اتقنت علم الرجال، ولاهي أحكمت فقه الحديث.

وقد روى الرامهرمزي بسنده إلى الإمام محمدبن إسماعيل البخاري قال: سمعت علي بن المديني يقول: "التفقه في معاني الأحاديث نصف العلم، ومعرفة الرجال نصف العلم"(7).

أما صحة الحديث من حيث السند فلا يشك فيها إلا ضال متهتك، أو جاهل متهوك، ولم ينفرد بإخراجه كما لبست المفترية ودلست، ولم يرو عن أبي هريرة، فقط، إنما رواه من الصحابة أبو سعيد الخدري، وأنس بن مالك (ض) أجمعين فقد أخرجه عن عدد من الصحابة بالأسانيد الصحاح للجبال الراسيات والرجال الثقات، وليس (الثقاة) كما تكتبينها بيدك العوجاء الشلاء . البخاري، وأبو داود، وابن ماجة، والنسائي، وأحمد في المسند في كثير من المواضع، والدارمي، وابن حبان في الصحيح، وابن خزيمة في الصحيح، وابن الجارود في المنتقى، والبيهقي في السنن الكبرى، وأبو يعلى في مسنده، والطيالسي، والبغوي في شرح السنة، وعبد بن حميد في المسند، وحديث أنس عند البزار (2866) ورجاله ثقات، قال في فتح الباري، وقال الهيثمي: ورجاله رجال الصحيح،ورواه الطبراني في الأوسط 38/5 وفيه " أحد جناحيه سما" رواه كل هؤلاء بألفاظ متقاربة عن عدد من الصحابة.

قلت: فانظر إلى هذا العدد الكبير من جهابذة المحدثين الذين أخرجوا الحديث في مصنفاتهم، والملبسة المدلسة أرادت أن توهم القراء أن البخاري انفرد بروايته، ذريعة للطعن في أحاديث الصحيح، ولازالت تكذب وتتحرى للكذب، حتى تكتب عند الله كذابة.

وهذا لفظ البخاري، قال: حدثنا قتيبة حدثنا إسماعيل بن جعفر عن عتبة بن مسلم مولى بني تميم عن عبيد بن حنين مولى بني زريق عن أبي هريرة (ض) أن رسول الله (ص) قال: ("إذا وقع الذباب في إناء أحدكم فليغمسه كله، ثم ليطرحه، فإن في أحد جناحيه داء وفي الأخر شفاء"(8) فلننظر بأي فقه فهمت به "مفتية الثقلان" الحديث (حديث الذباب)، قالت عاتبة مستهزئة : (إن الذباب لاتجب إبادته وتطهير المكان منه ..... وإنما هوكما قال في الصحيح الفصيح يحمل الداء والدواء، ويجب أن يغمس في الإناء غمسا جيدا، ثم تطرحه بعد ذلك، ثم تشرب في نهاية المطاف سائلا هنيئا مريئا لأنك إذا لم تغمسه فسيهرب لك بالدواء"(9).

ليس هذا بعشك فادرجي

هذا هو الفهم والفقه والطب وإلا فلا! "يامفتية الثقلان"!

فهم "لم يتلجلج في صدرك، وفقه أضل من بعير أهلك، وتطبب سعيت فيه إلى حتفك بظلفك، لأنك لاتدري ماهنا ولاماهنالك، وقد سمي الذباب ذبابا لكثرة حركته واضطرابه شبيها بحركتك واضطرابك. وهذا أوردك وسيوردك المهالك.

الأمر الطبي والتجربة:

وعلى أي فالحديث فيه أمر طبي وأمر فقهي . كما قال ابن القيم . ولنبدأ بالطبي: قال الحافظ في الفتح: " قال أفلاطون : الذباب أحرص الأشياء، حتى إنه يلقي نفسه في كل شيء ولو كان فيه هلاكه، ويتولد من العفونة ... ويحكى أن بعض الخلفاء سأل الشافعي: لأي علة خلق الذباب؟ فقال: مذلة للملوك، وكانت الحت عليه ذبابة، فقال الشافعي: سألني ولم يكن عندي جواب، فاستنبطته من الهيئة الحاصلة"(10).

وقال الإمام أبو سليمان للخطابي: "وقد تكلم على هذا الحديث بعض من لا خلاق لهم مثله: "مثل مفتية الثقلان" مثلا . وقال: كيف يكون هذا؟ وكيف يجتمع الداء والشفاء في جناحي الذبابة، وكيف تعلم ذلك من نفسها حتى تقدم جناح الداء وتؤخر جناح الشفاء وما ألجأها إلى ذلك؟!

قلت: وهذا سؤال جاهل أو متجاهل (مثل محدثة الأحداث) وإن الذي يجد نفسه ونفوس عامة الحيوان قد جمع فيها بين الحرارة والبرودة،والرطوبة واليومية، وهي أشياء متضادة إذا تلاقت تفاسدت، ثم يرى أن الله سبحانه قد ألف بينها، وقهرها على الاجتماع، وجعل منها قوى الحيوان التي بها إبقاؤها وصلاحها، لجدير أن لاينكر اجتماع الداء والشفاء في جزئين من حيوان واحد، وأن الذي ألهم النحلة أن تتخذ البيت العجيب الصنعة وأن تعسل فيه، وألهم النملة أن تكتسب قوتها وتدخره لأوان حاجتها إليه، هو الذي خلق الذبابة وجعل لها الهداية إلى أن تقدم جناحا وتؤخر جناحا... وفي كل شيء عبرة وحكمة ومايذكر إلا أولوا الألباب"(11).

وقال ابن الجوزي: "مانقل عن هذا القائل ليس بعجيب، فإن النحلة تعسل من أعلاها، وتلقي السم من أسفلها، والحية القاتل سمها، تدخل لحوسها في الشر إن الذي يعالج به السم، والذبابة تسحق مع الإثمد لجلاء البصر، وذكر بعض حذاق الأطباء أن في الذباب قوة سمية يدل عليها الورم والحكة العارضة عن لسعه، وهي بمنزلة السلاح له، فإذا سقط الذباب فيما يؤذيه تلقاه بسلاحه، فأمر الشارع أن يقابل تلك السمية بما أودعه الله تعالى في الجناح الأخر من الشفاء، فتتقابل المادتان فيزول الضرر بإذن الله تعالى"(12).

وقال الملك المظفر يوسف بن عمر الغساني التركماني (ت 694هـ) في كتابه النفيس "المعتمد في الأدوية المفردة": "الذبابة ألوان فللإبل ذباب، وللبقر ذباب، وللناس ذباب، وأصله دود، وذباب الناس يتولد من الزبل، قال: فإن أخذ الذباب الكبير، فقطعت رؤوسه ويحك بجسدها على الشعر الذي يكون في الأجفان حكا شديدا، فإنه يبرئه، وإن أخذ الذباب وسحق بصفرة البيض سحقا ناعما،وضمدت به العين الذي فيها اللحم الأحمر من داخل الملتصق بها، فإنه يسكن من ساعته وإن حك بالذباب على داء الثعلب حكا شديدا، فإنه يبرئه، وإن مسحت لسعة الزنبور بالذباب سكن وجعه، وهو ينفع من أوجاع العين وانتثار الهدب" (13).

وقال أبو محمد المالقي الأندلسي: "ذباب الناس يتولد من الزبل، وإن أخذ الذباب الكبير فقطعت رأسها، وحك بجسدها الشعرة التي في الجفن حكا شديدا أبرأته، وكذا داء الثعلب، وإن مسح لسعة الزنبور بالذباب سكن الوجع"(14).

وقال الإمام ابن القيم في "الطب النبوي": "... فيغمس كله في الماء والطعام، فيقابل المادة السمية المادة النافعة، فيزول ضررها، وهذا طب لايهتدي إليه كبار الأطباء وأمتهم، بل هو خارج من مشكاة النبوة، ومع هذا فالطبيب العالم العارف الموفق يخضع لهذا العلاج، ويقر لمن جاء به بأنه أكمل الخلق على الإطلاق، وأنه مؤيد بوحي إلهي خارج عن القوى البشرية.

وقد ذكر غير واحد من الأطباء لسع الزنبور والعقرب إذا دلك موضعه بالذباب، نفع منه نفعا بينا وسكنه، وماذاك إلا للمادة التي فيه من الشفاء، وإذا دلك به الورم الذي يخرج في شعر العين المسمى شعرة بعد قطع رؤوس الذباب" أبراه"(15).

وهذا قول كبار الأطباء وأئمتهم . كما قال ابن القيم . فها هو طبيب العرب الكبير الشيخ الرئيس أبو الحسين ابن سينا يؤكد ذلك بالتجربة والملاحظة وهما سيدا الأدلة العلمية. قال في كتابه النافع الماتع: "القانون في الطب": "السموم: قد جربته مرارا فوجدته نافعا، إذا دلك الذباب على لسع العقرب نفع نفعا بينا"(16).

قلت: هؤلاء أطباء المسلمين الأقدمين قد جربوا وتحققوا، فليس على "مفتية الثقلان" إلا أن تجرب لتتحقق، فإذا لسعها زنبور، مثلا، أو عقرب وهي تسرق البيض الفاسد لتتشبع به في "الأحداث" حتى لايضطر البخاري إلى قطع يدها، أو أصابها داء الثعلب وهي تقمش وتلبس وتدلس، أو وجعت عينها الخائنة وهي تكذب على القراء الكرام وتحاول أن تستغفلهم وتضللهم، فوصفتها ماذكره لنا الطبيب الملك المظفر في كتابه "المعتمد في الأدوية المفردة": وهو أن تأخذ الذباب وتسحقه بصفرة البيض المسروق سحقا ناعما، وتحك به موضع الداءحكا شديدا، فإنه يبرئه.

فإذا لم يقنعها هذا النوع من العلاج، لأنها لاتؤمن بالقديم، بل لاتؤمن بحديث رسول الله (ص) المنقول في الصحيح، بل تكذب بالتجربة وإن رأتها رأي العين، فموعدنا الحلقة القادمة إن شاء الله تعالى، لكي أسوق لها من أقوال أهل الطب الحديث وجهابذته من مسلمين وأوروبيين . الذين إذا ذكروا من دونه إذاهم يستبشرون . مما يروي غلها، ويشفي علتها.

وأحب هنا أن أذكرها بقوله الله سبحانه وتعالى: "ومن يشاقق الرسول من بعدما تبين له الهدى ويتبع غير سبيل المومنين نوله ماتولى ونصله جهنم وساءت مصيرا"سورة النساء/الآية:115.

الهوامش:

1. انظر : جريدة الأحداث المغربية يوم الأربعاء 24 صفر 1423هـ الموافق 8 ماي 2002م، العدد: 1203 في بهتان آخرلها بعنوان:"عن البخاري مرة أخرى: تقليص ظل عصبيات، ولا أفهم أي لغة هذه تكتب بها "مفتية الثقلان"؟! فهل للعصبيات ظل؟! ثم ما معنى تقليص؟! والله تعالى يقول: "الرحمن علم القرآن، خلق الانسان علمه البيان"ولاعلم عندها ولا بيان.
2. في جوابها المقتضب للدكتور يوسف الكتاني في جريدة "الأحداث المغربية" 5ابريل 2002.
3. انظر : جريدة الأحداث ،الأربعاء8 ماي 2002.
4. المرجع السابق.
5. المرجع السابق.
6. انظر المقال المارق في الأحداث 12 ابريل 2001 (بمناسبة الجدل الدائر حول البخاري:(البخاري والتاريخ).
۞تقصد فضيلة الدكتور يوسف الكتاني.
7. المحدث الفاصل بين الراوي والواعي للرامهرمزي، ص:320، ت:د محمد عجاج الخطيب دار الفكرط:3 1404هـ. 1984م.
8. أخرجه الإمام البخاري في كتاب الطب: باب إذا وقع الذباب في الإناء رقم:5782
9. جريدة الأحداث:12 ابريل 2002(من أعماق الصحيح) لمفتية الثقلان.
10. فتح الباري 307/13ط دار الكتب العلمية، بيروت.
11. معالم السنن للخطابي239/4،ط دار الكتب العلمية . بيروت.
12. فتح الباري 309/13.
13. المعتمد في الأدوية المفردة للملك المظفر. ص130، دار الكتب العلمية، بيروت ط1،1421هـ 2000م.
14. فتح الباري307/13.
15. الطب النبوي لابن القيم، ص90، ت الشيخ عبد القادر عرفات، ط دار المعرفة، الدار البيضاء.
16. الشفاء من القانون في الطب لابن سينا. ص406، ت:محمد أمين الضناوي، دار الكتب العلمية، بيروت، ط1،1421هـ ، 2001م.

ألا بذكر الله تطمئن القلوب

■ إعداد : لبنى العافية

لقد كان الاسلام وسيبقى دستورا متكاملا، متميزا يفلح من يسير على نهجه ويخيب من يتبع سبيلا غير سبيله فهو ينبوع لا يغيض معينه ولايجف مورده، شامل لكل كبيرة وصغيرة، إمام وقدوة في كل العصور والأزمنة، بين دفتيه علاج لكل سقم وراحة لكل نفس فما من شيء يخص الكون أو المخلوقات إلاواتى به مفسرا جليا جلو الشمس في كبد السماء.

والانسان فوق هذه البسيطة تعترضه مشكلات وأزمات في كثير من الاحيان يستعصي عليه بعقله البسيط وفهمه المحدود أن يتدبر حقيقتها. أو أن يتوصل إلى المغزى من وجودها، فيسير هائما على وجهه، مرتبكا في أموره منشغل الفكر والخاطر تجره ، أحيانا، المآسي والأحزان وأحيانا أخرى الافراح والمسرات، دون أن يعتبر من الاولى أو يجد لذة في الثانية وذلك لأنه غافل عن حقيقة وجوده، جاحد بنعمة خالقه، هذه النعم التي من الواجب علينا أن نقابلها بالشكر والحمد والاعتراف بالجميل وأن نؤوب لله الواحد الصمد في كل حين، فنعرف فضله ونستشعر كرمه، لأن معرفة الله سبحانه تورث الرضى والسعادة وخير الدنيا والآخرة. والنفس البشرية نفس متقلبة تارة مقبلة وتارة مدبرة فهي إن لم تشغلها بالحق شغلتك بالباطل،إذ النفس من طبيعتها تدعو صاحبها إلى الطغيان وإيثار الحياة الدنيا واتباع الهوى والله يدعو عباده إلى الحق منه والخضوع له،والقلب بين الداعيين يميل إلى هذا الداعي مرة وإلى هذا مرة. وهذا لعمري موضع المحنة والابتلاء. فالقلب إن لم تسكنه محبة الله . عزوجل . سكينة محبة المخلوقين ولابد، فالقلب لايصلحه إلا الاقبال على الله تعالى وفيه وحشة لاينيرها إلا الأنس به، وفيه حزن لايذهبه إلا السرور بمعرفته وصدق معاملته، فكيف السبيل إلى محبة الله والتعرف عليه؟

إن من فضل الله علينا أن جعل لنا الطريق إليه واضحة ميسرة وأرشدنا إلى نيل رضاه بما ينفعنا في الدارين، فما من خير نصبو إليه في آخرتنا إلا وكان أشدنفعا على حياتنا الدنيوية. وهذا من كرم الله تعالى . لذلك وجب علينا أن نخلص له الدين في سائر أعمال العبادة والطاعات بقلب متخشع وجوارح متيقظة ونفس متلهفة مصداقا لقوله تعالى : "وما أمروا إلا ليعبدوا الله مخلصين له الدين حنفاء ويقيموا الصلاة ويؤتوا الزكاة وذلك دين القيمة"سورة البينة/الأية:5، وقوله:"إنا أنزلنا إليك الكتاب بالحق فاعبد الله مخلصا له الدين ألا لله الدين الخالص"سورةالزمر/الأية:32، فالاخلاص هو تصفية العمل بصالح النية عن جميع شوائب الشرك قال علي الفضيل بن عياض" ترك العمل لأجل الناس رياء، والعمل لأجل الناس شرك والإخلاص أن يعافيك الله منهما. "وقال ذو النون المصري رحمه الله": ثلاث من علامات الإخلاص:استواء المدح والذم من العامة، ونسيان رؤية الأعمال في الأعمال، واقتضاء ثواب العمل في الآخرة" ونظر أبو علي الدقاق إلى الاخلاص فقال: "هو التوقي عن ملاحظة الخلق.والصدق هو التنقي عن مطاوعة النفس.فالمخلص لارياء له والصادق لا إعجاب له"(1).

فالاخلاص دعوة لصلاح الاعمال وكمالها وأساس لقبولها وثبوت الأجر عليها لأن العبادة هي غاية الحب مع غاية الاخلاص والتذلل إذ من ادعى حب الله بلا خوف ولا رجاء ولاخشية دعوى كاذبة قال الله تعالى في كتابه العزيز: "إنما المؤمنون الذين اذا ذكر الله وجلت قلوبهم، وإذا تليت عليهم آياته زادتهم إيمانا" سورة الانفال/الأية:2.نعم إن الاخلاص في العمل والنية واستحضار القلب في ذلك كله رهين بعمق الايمان في قلب المؤمن ومدى تجذره فيه. لأن للإيمان حلاوة لايتذوقها إلا من وفقه الله إلى ذلك، وهاهو النبي (ص) يرشدنا إلى كيفية الوصول إليها لحديث أنس (ض) أن النبي (ص) قال: "ثلاث من كن فيه وجد حلاوة الايمان: أن يكون الله ورسوله أحب إليه مما سواهما وأن يحب المرء لايحبه إلا لله، وأن يكره أن يعود في الكفر بعد أن أنقذه الله منه، كما يكره أن يقذف في النار" أخرجه البخاري.(2) وحلاوة الايمان معناها التلذذ بالطاعة وتحمل المشقة في رضى الله ورسوله وإيثار ذلك على عرض الدنيا، يقول العلامة محمد عبد الرؤوف المناوي في كتابه فيض القدير: "شبه الايمان بنحو العسل للجهة الجامعة وهو الالتذاذ.. وادعى بعض الصوفية أنها حلاوة حسية لأن القلب السليم من أمراض الغفلة والهوى يجد طعم الايمان كطعم العسل".

والايمان يزيد بالطاعة وينقص بالمعصية وهو القاعدة والاساس الذي ينبني عليها عمل المسلم، فمنه سمي المسلم مؤمنا لأنه مصدق تصديقا يقينيا بكل ما جاء به الدين الحنيف والشريعة السمحة. فالاعتقاد الباطني بوجود الله ووحدانيته في ذاته وصفاته وأفعاله ثم تطبيق هذا الاعتقاد على المستوى العملي المتمثل في فرائض العبادات والواجبات وغيرها من نوافل الطاعات والقربات لهو نعم النهج القويم إلى محبة الله والتعرف عليه لقوله تعالى : "فمن كان يرجو لقاء الله فليعمل عملا صالحا ولايشرك بعبادة ربه أحدا" سورة الكهف/الأية:105. ويقول في الحديث القدسي عن أبي هريرة (ض) قال: قال رسول الله (ص):"... ومايزال عبدي يتقرب إلي بالنوافل حتى أحبه،فإذا أحببته كنت سمعه الذي يسمع به وبصره الذي يبصربه، ويده التي يبطش بها ورجله التي يمشي بها وإن سألني أعطيته ولئن استعاذني لأعيذنه"رواه البخاري.

ولما كان الرسول الكريم هو المبلغ لرسالات ربه ولكتابه المبين فإن محبة الله لاتتحقق إلا باتباع أوامره واجتناب نواهيه من خلال أحاديثه الخالدة والاقتداء بسنته العطرة الجامعة المانعة فهو قائد هذه الأمة ونبراسها المضيء.

يقول الحق سبحانه: "قل إن كنتم تحبون الله فاتبعوني يحببكم الله ويغفر لكم ذنوبكم والله غفور رحيم"سورة آل عمران/الأية:31. فهي إشارة واضحة إلى أن اتباع الرسول الأمين موجبة للجنة وغفران الذنوب، فما من طريق من طرق الخير أو المعروف إلا دعا إليه وحبب فيه ورغب ولا طريق من طرق الضلال و الغي إلا حذر منه ورهب، قال الله تعالى:" من يطع الرسول فقد أطاع الله"سورة النساء/الأية:80وقال أيضا: "ومن يطع الله والرسول فأولئك مع الذين أنعم الله عليهم من النبيئين والصديقين والشهداء والصالحين وحسن أولئك رفيقا" الأية:68 إذ لامعنى للحب إلا بالطاعة والمتابعة، يقول الامام الطوسي في التبيان: محبة الله للعبد هي إرادته لثوابه ومحبة العبد لله هي إرادته لطاعته.

وجاء على لسان نبينا المصطفى أنه قال: "من أحب سنتي فقد أحبني ومن أحبني كان معي في الجنة"، وعن عائشة (ض) قالت: من أحب الله تعالى أكثر ذكره من أحب النبي . عليه السلام . أكثر من الصلاة عليه وثمرته أن يذكره الله تعالى برحمته وغفرانه ويكرمه برؤية جماله، ومن أحب النبي عليه السلام أكثر من الصلاة عليه وذلك للوصول إلى شفاعته وصحبته في الجنة"(3) ويعضد هذا القول حديث النبي (ص) أنه قال: "من صلى علي عشرإذا أصبح وعشرا إذا أمسى أمنه الله تعالى من الفزع الاكبر يوم القيامة وكان مع الذين أنعم الله عليهم من النبيئين والصديقين"وهي بحق من أعلى الدرجات التي يمكن للمؤمن أن يتبوأها وهو أن يكون في زمرة الأنبياء والصلحاء الذين صرفوا أعمالهم في طاعة الله ونصرته وإعلاء كلمته، وأموالهم في مرضاته والذود عن حماه. والحديث دلالة على شرف هذه "العبادة"قال الأبي: "وقضية اللفظ حصول الصلاة بأي لفظ كان. وإن كان الراجح الصفة الواردة في التشهيد . 3. وفيه دليل على فضل الصلاة والسلام على النبي (ص) وانه من افضل الاعمال وأجل الاذكار"(4)وإذا علمنا أن محبة الله تستوجب ذكر رسوله الحبيب فإن ذكر الله تعالى أولى منزلة وأبلغ مرادا وأجدى نفعا، عن أبي الدرداء قال النبي (ص) ألا أنبئكم بخير أعمالكم عند مليككم وأرفعها في درجاتكم وخير لكم من إنفاق الذهب والفضة وخيرلكم من أن تلقوا عدوكم فتضربوا أعناقهم ويضربوا أعناقكم؟قالوا: بلى يارسول الله. قال: هو ذكر الله تعالى"، فالمؤمن مطالب بالذكر مايجلو صدأ قلبه ويزيل الغشاوة عن عين بصيرته، لذلك عليه أن لايغفل عن قراءة القرآن الكريم وتدبر آياته وتلاوة الاذكار المتنوعة من ثناء وتمجيد وتكبير وتحميد وتقديس وتهليل ودعاءو... قال الله تعالى:يأيها الذين آمنوا اذكروا الله ذكرا كثيرا وسبحوه بكرة وأصيلا"سورة الأحزاب/الأيتين:41و42.

وعن جابر (ض)أنه قال: قال رسول الله (ص):" أفضل الذكر لا إلاه إلا الله وأفضل الدعاء الحمد لله" "وكون لا إلاه إلا الله أفضل الاذكار فلأن فيه معنى لايوجد في غيره من اثبات الالوهية لله تعالى ونفيها عما عداه مع معرفة مايجب في حقه ومايستحيل عليه ومايجوز له،فهي كلمة لاتضاهيها كلمة فهي التوحيد برمته".(5) وكما يستحب الذكر يستحب الجلوس في حلقة أهله فعن ابن عمر (ض) قال: قال رسول الله (ص):" إذا مررتم برياض الجنة فارتعوا، قالوا: ومارياض الجنة يارسول الله، قال: حلق الذكر، فإن لله تعالى سيارات من الملائكة يطلبون حلق الذكر فإذا أتوا عليهم حفوا بهم".

ولذكر الله تعالى انعكاس معنوي جميل مؤثر فهو عزاء البائسين وسلوى المحزونين وأمل المنكوبين، فيه طمئنة للقلوب الجريحة والنفوس المريضة والاكباد المريضة وهو هداية للأرواح الحائرة وراحة للألباب الطاهرة وصدق الله تعالى حين قال في كتابه العزيز: "الذين آمنوا وتطمئن قلوبهم بذكر الله، ألا بذكر الله تطمئن القلوب" سورة الرعد/الأية:28.

والنصوص القرآنية والأحاديث النبوية في هذا المضمار كثيرة جدا تدعو كلها إلى حب الله ورسوله وإلى التمسك بالشريعة الالاهية والسنة النبوية والاهتداء بهدى النبي . عليه الصلاة والسلام . حتى ينضوي المؤمن تحت لواء الله تعالى فتشمله شئبيب رحمته وعظيم مغفرته فيحيا حياة تفوح منها نسمات ربانية وإشراقات نورانية تبعث على الرضى والرجاء والاطمئنان ولله در الشاعر الذي قال:

تعصى الاالاه وانت تظهر حبه
هذا لعمري في القياس بديع
لو كان حبك صادقا لأطعته
إن المحب لمن يحب مطيع

الهوامش:

1. كتاب الاذكار المنتخبة من سيد الابرار(ص) للامام النووي ص:8
2. كتاب الايمان، باب حلاوة الايمان.
3. درة الناصحين في الوعظ والارشاد لعثمان الخويري.ص:51
4. فيض القدير ص:169.
5. درة الناصحين ص:76.

السيرة النبوية وحقيقة النبوة

للأستاذ : العربي الغساسي

لم يحظ نبي ولا زعيم ولا مفكر قديما ولاحديثا، ، بمثل ما حظي به نبي الإسلام سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم من دراسات وأبحاث متعددة الأبعاد ، ومتنوعة المشارب، فمنذ وفاة الرسول صلى الله عليه وسلم والمفكرون والعلماء والمؤرخون ، يركزون على شخصية الرسول صلى الله عليه وسلم ويحاولون تلمس أوجه الكمال وجوانب العظمة فيها.

وكان من أهم وأبرزما اهتم به المسلمون : تاريخه (صلى الله عليه وسلم وأحداث حياته ، أو ماأصطلح عليه بالسيرة النبوية، فقاموا بتسجيل وقائعها ونقلها ، سواء في كتب الحديث أو كتب السيرة أو كتب التاريخ عامة.

ولقد أفادت السيرة النبوية . في مسيرتها الطويلة . من وسائل الاتصال في الحضارات الإعلامية المختلفة، منذ الحضارة السمعية، ومرورا بحضارتي التدوين والطباعة، وفي حضارة الإذاعات المسموعة والمرئية.

وسأحاول في هذه الدراسة تلمس بعض الأعمال التي تناولت السيرة في هذه الحضارات الإعلامية في محاولة لاستقراء الشخصية الإسلامية وارتباط السيرة النبوية بالحضارة السمعية كما تمثلها الوجدان الإسلامي وعبر عنها في المديح النبوي شعرا ونثرا.

وقد وضعت لذلك تصميما ، مبتدئا فيه بتقديم نظرات عن النبوة والإرهاصات الإيمانية والبصمات الحضارية التي سبقت ميلاد الرسول (صلى الله عليه وسلم) وبعثته و مقدما بعد ذلك ومضات لامعة من السمات التي وسمت حياة الرسول (صلى الله عليه وسلم) وسيرته العطرة، لأخلص بعد ذلك إلى دورالإعلام في السيرة النبوية والدعوة إلى الإسلام ومساهمته في النقل الحضاري والتواصل الثقافي بين الأجيال مقارنا بين متطلبات هذا الدور وواقع الإعلام، وأتوقف في ثنايا ذلك عند العوائق والمتطلبات التي تحول دون بلوغ العالم الإسلامي إلى مقاصده وأهدافه في هذا الميدان.

النبوة ضرورة إنسانية:

إن معجزة الوحي وإرسال الرسل والأنبياء شغلت العقول قديما وحديثا فآمن بها كل من شرح الله صدره ، وجحدها من اتبع شهوته وهواه.

فقد تنازع كثير من الناس في أمر النبوة ، وفي إمكان أن يتصل إنسان من الناس بالملأ الأعلى، وأن يكون سفيرا من الله إلى الناس يحمل إليهم رسالة من عند الله يبلغهم ما أمره الله بتبليغهم إياه، والناس في هذا مذاهب وشيع.

. المؤمنون بالله ورسله، ويعتقدون أنهم إنما أخذوا شريعتهم عن رسول الله من عند الله وأن هذا الرسول إنسان من بينهم ، وقد ولد فيهم، وأنهم يعرفونه ، كما يعرفون أبناءهم.

. غير المؤمنون بالله ورسله فهم لا يتصورون أبدا أن يكون بين إنسان من الناس اتصالا بالملأ الأعلى لاختلاف الطبيعة بين العالمين الأرضي والسماوي وهم في هذا على مذاهب شتى كذلك.

فمنهم الماديون ، ومنهم الملحدون، ومنهم من يومنون بالعالم العلوي وبما وراء الطبيعة، ولكنهم ينكرون على إنسان منهم أن يرتقي هذا المرتقى ، وأن يقوم بالسفارة بينهم وبين هذا العالم ، ومن بينهم من يتعبد للرهبان والكهان والكواكب والأقمار والحيوان والبحار، والذي يأبى أن يتعبد له متعبد ، إلا إذا خلع عليه تلك القداسة الزائفة التي يعرفه بها إلى مقام الإله الخالق رب العالمين.

ونحن لا نريد أن نقف هنا طويلا عند تلك الآراء المتضاربة في شأن أنبياء الله ورسله وفي الضرورة الإنسانية إليهم، ولكننا نريد أن نقف في إيجاز عند وجهة نظر الذين ينكرون الرسل واستحالة اتصالهم بالملأ الأعلى وارتقاتهم إلى هذا الملأ العالي الذي ليس لأحد سوى هؤلاء الرسل سبيلا إليه ، هؤلاء الذين يعترفون بوجود الله ولكنهم يلحدون في صفاته، ولا يتصورون قيام رسل من البشر من عند الله إلى الناس ولا يرون داعية تدعو إلى نبي أو رسول يحمل إلى الناس وصايا السماء.

هؤلاء هم جماعة في كل عصر، من أولائك الذين يتعاطون الفلسفة والحكمة، حيث ينظرون إلى هذا الأمر نظرتين متباعدتين: نظرة تحقر الإنسان ، فلا تراه أكثر من كائن حيواني كسائر الحيوانات، فلا يعدو أن يكون فصيلة من فصائل تلك الحيوانات وسلالة من سلالاتها .

ونظرة أخرى، تحلق بالإنسان إلى ما فوق إمكاناته وقدراته ، وتراه في مستوى يستغنى به عن وصايا السماء ، وعن تدبيرها لحياته، وتصحيحها للفاسد من عقائده فلا ضرورة إذن لمبعوث من السماء ، يحمل إلى الناس شريعة ويقيم لهم دنيا.

والنظرة الأولى من هؤلاء الفلاسفة والحكماء هي التي نظروا بها إلى الحياة نظرة متشائمة ، فرأوا في الإنسان دودة حقيرة ، غارقة في أكوام من التراب ومن الأوحال، يقول الفيلسوف الألماني " نيتشة" " لانريد ملكوتا من السماء، نحن بشر، نريد ملكوتا أرضيا... " تلك هي فلسفة الملحدين المتشائمين الذين يسدون في وجه الإنسان أي أمل في الحياة بعد الموت ، ويقول " ابن تيمية" عن أصحاب تلك الفلسفة المادية المتشائمة " والمتفلسفة من اليونان والهند، متنازعون في وجود كمال الجنس البشري ..فلم يؤمن هؤلاء بالأنبياء البتة " النبوات لابن تيمية صفحة 25.

أما النظرة الفلسفية الأخرى التي ترتفع بالإنسان إلى مافوق البهائم والأغنام ، فإنها ترى أن الإنسان مهما بلغ من العلو والارتقاء فلن يكون له أن يحمل رسالة سماوية عن طريق الاتصال بالله مباشرة أو بملائكته ، فإذا كان من المحتم أن تنزل على الناس شريعة سماوية ، فليكن الذي يحملها إليهم مبعوثا من العالم العلوي

وإنه لمن لطف الله تعالى، ورحمته بالناس أن أقام بينه وبينهم سفراء من بني جنسهم ، هم رسله وأنبياؤه الذين حملوا لهم الدواء الذي يذهب بما تداعى عليهم من نزعات أنفسهم الأمارة بالسوء، ومن وساوس الشياطين، فمن أخذ بحظه من هذا الدواء الإلهي الذي حمله رسل الله وأنبياؤه، فقد ركب مركب الأمن والسلامة ، وطابت حياته في الدنيا والآخرة جميعا ، والله تعالى يقول: فإما ياتينكم مني هدى فمن اتبع هداي فلا يضل ولا يشقى ومن أعرض من ذكري فإن له معيشة ضنكا ونحشره يوم القيامة أعمى "سورة طه الآيتان : 123 .124.

ومن ثم فقد اقتضت حكمة الله ورحمته بعباده أن يختار من بينهم صفوة ممتازة بكامل الصدق والأمانة ، وبلوغ الذروة في العصمة والاستقامة ، فيوحي إليهم بما يشاء من مختلف الأحكام وألوان الهداية ، كي يبلغوها هم بدورهم إلى من بعثوا إليهم تبليغا كاملا ، تبصرة لهم بالوظيفة التي أوجدهم الله من أجلها ، ويحقق لهم السعادة الأبدية.

فهؤلاء الصفوة من البشر الذين اختارهم الله لوحيه عبر تاريخ الإنسانية وكلفهم تبليغه إلى أقوامهم خاصة أو إلى الناس عامة هم الأنبياء عليهم السلام باعتبار تلقيهم عن الله تعالى وهم الرسل صلوات الله وسلامه عليهم، باعتبار تبليغهم للناس ما أوحي إليهم، أما الحكمة من وراء بعثتهم فهي هداية الإنسان إلى معرفة مهامه في الحياة ، وإلى المنهج الذي يساعده على أدائها كما يريد رب العالمين" ليلا يكون للناس على الله حجة بعد الرسل" سورة النساء الآية 165.

ولذلك فقد كان الإيمان بتحقيق وحي الله تعالى إلى سائر أنبيائه ورسله عليهم السلام من لدن آدم إلى محمد (صلى الله عليه وسلم) حقيقة منطقية واحدة لا تختلف ولا تتفاوت ما بين أحدهم والآخر، حتى إنه لا يجوز التفاضل بينهم من هذه الناحية في نفس الوقت الذي تعتبر فيه ركنا من الإيمان في دين الإسلام، بدليل قوله تعالى " آمن الرسول بما أنزل إليه من ربه والمؤمنون، كل آمن بالله وملائكته وكتبه ورسله، لانفرق بين أحد من رسله، وقالوا سمعنا وأطعنا ، غفرانك ربنا وإليك المصير، سورة البقرة / الأيتان: 284و285.

فالإيمان بصدق كل الرسل الذين بعثهم الله يقتضي الإيمان بوحدة الأصل الذي تقوم عليه رسالتهم وتتضمن الكتب التي نزلت عليهم قال تعالى . " وماأرسلنا من قبلك إلا رجالا يوحي إليهم فاسألوا أهل الذكر إن كنتم لا تعلمون ، سورة النحل / الأية 43. وقال تعالى: شرع لكم من الدين ما وصى به نوحا والذي أوحينا إليك وما وصينا به إبراهيم وموسى وعيسى أن أقيموا الدين ولا تتفرقوا فيه، سورة الشورى الأية : 13.

من ثم لا تقوم التفرقة بين الرسل في ضمير المسلم فكلهم جاء من عند الله بالإسلام في صورة من صوره المناسبة لحال القوم الذين أرسل إليهم، حتى انتهى الأمر إلى خاتم النبيئين سيدنا محمد (صلى الله عليه وسلم) فجاء بالصورة الأخيرة للدين الواحد لدعوة البشرية كلها إلى يوم القيامة.

الإسلام هو التوحيد

وكانت دعوة رسل الله جميعا قائمة على الدعوة إلى توحيد الله، وإخلاص العبودية له سبحانه ، وذلك التوحيد لله هو الإسلام ، الذي يسلم فيه الإنسان وجهه إلى الله تعالى إسلاما مطلقا فلا يلتفت بقلبه أو عينه إلى غير الجهة التي يتوجه فيها بوجوده كله ظاهرا وباطنا إلى الله تعالى وحده.

فالإسلام هو الدين الذي يقبله الله تعالى من عباده ، فلا يقبل أي دين غيره حيث يقول سبحانه وتعالى: « إن الدين عند الله الإسلام » سورة آل عمران / آية : 19 . ويقول تعالى: «ومن يبتغ غير الإسلام دينا فلن يقبل منه وهو في الأخرة من الخاسرين، سورة آل عمران الآية : 85. ويقول تعالى على لسان إبراهيم وإسماعيل عليهما السلام: « ربنا واجعنا مسلمين لك ومن ذريتنا أمة مسلمة لك ، سورة البقرة الأية 128:

فكل أنبياء الله ورسله ومن تبعهم من أقوامهم كانوا على دين الإسلام الذي هو التوحيد الخالص لله سبحانه وتعالى لا يخالطه شرك بمعبودات أخرى في الأرض أو السماء كما يقول الله تعالى : « إنا أنزلنا إليك الكتاب بالحق فاعبد الله مخلصا له الدين ألا لله الدين الخالص ، سورة الزمر / الأيتان 11. 12.

وكل الأنبياء دعوا إلى عبادة الله تعالى وحده، وهدم الأوثان، فنوح الأب الثاني للبشرية ما دعا إلا إلى وحدانية الله تعالى وإبراهيم حاطم الأوثان دعا إليها، وإسماعيل وإسحاق ويعقوب كل أولائك دعوا إليها وموسى عليه السلام دعا إليها وناضل فرعون ووقف ضد جبروته وطغيانه لحمله على الخضوع لها، وقد أنقذ بني إسرائيل من عبوديته ليحررهم ويكونوا دعاة الوحدانية في ذلك الزمان الذي عمته الوثنية.

وجاء النبيئون من بعده بهذه الدعاية الخالصة لله تعالى، ثم جاء عيسى عليه السلام داعيا لها، وكانت الوحدانية في دعوته هي الصوت القوي الذي ينادي بأن الله واحد أحد ، فرد صمد ليس بوالد ولا ولد.

أما الشريعة التي كان يحملها كل رسول إلى قومه فإنها كانت تتعلق بالعبادات والمعاملات التي تناسب حال القوم الذين يبعث فيهم الرسول، ولهذا كان لكل قوم شريعة تناسب أحوالهم العقلية والاجتماعية كما يقول تعالى: «لكل جعلنا منكم شرعة ومنهاجا ولو شاء الله لجعلكم أمة واحدة ولكن ليبلوكم فيما آتاكم ، فاستبقوا الخيرات إلى الله مرجعكم جميعا فينبئكم بما كنتم فيه تختلفون ، سورة المائدة الأية :48. ولهذا اقتضت حكمة الله تعالى أن يبعث رسله رسولا بعد رسول رحمة بعباده ليكون هؤلاء الرسل الكرام أدلاء للناس على الخير ومنارات هدى لمن أراد أن يسلك طريق الهدى وهذا ما يشير إليه قوله تعالى: إنا أرسلناك بالحق بشيرا ونذيرا وإن من أمة إلا خلا فيها نذير ، سورة فاطر / الأية 24.

(تابع ص :18)

منهجية الامام البخاري في كتابة الحديث الصحيح

■ إعداد الاستاذ: منصور أوراغ

الحلقة الأخيرة

أثر منهجية الإمام البخاري في علم الحديث

كانت للغاية الفقهية عند الإمام البخاري أثرها البين في الطريقة التي صنف بها الأحاديث ونجد ذلك واضحا في تكراره للحديث وكذلك في تعليقه للأحاديث وتقطيعها.

. تكرره للحديث في أبواب الفقه:

قال الحافظ أبو الفضل محمد بن طاهر المقدسي فيما رويناه عنه في جزء سماه (جواب المتعنت) اعلم أن البخاري . رحمه الله . كان يذكر الأحاديث في مواضع، ويستدل به في كل باب بإسناد آخر، ويستخرج منه بحسن استنباطه وغزارة فقهه معنى يقتضيه الباب الذي أخرجه فيه، وقلما يورد حديث في موضعين بإسناد واحد ولفظ واحد. وإنما يورده من طريق آخر لمعان ذات عدة فوائد (1).

ويوضح ابن حجر هذه الفوائد بقوله:

. فمنها أنه كان يخرج الحديث عن صحابي ثم يورده عن صحابي آخر.والمقصود أنه يخرج الحديث عن حد الغرابة، وكذلك يفعل في أهل الطبقة الثانية والثالثة وهلم جرا إلى مشايخه فيعتقد من يرى ذلك من غير أهل الصنعة أنه تكرار، وليس كذلك لاشتماله على فائدة زائدة.

. ومنها أنه قد صح أحاديث كثيرة على هذه القاعدة يشتمل كل حديث منها على معان متغايرة فيورد في كل باب من طريق غير الطريق الأولى.

. كما أن بعض الأحاديث كان يرويها بعض الرواة تامة والبعض مختصرة فيوردها كما جاءت ليزيل الشبهة على ناقلها إلى غير ذلك من الفوائد(2)، ويقول ابن حجر:إن البخاري لا يعيد الحديث إلا للفائدة التي تكون . أحيانا . في المتن أو الإسناد .وتارة فيهما معا، والتكرار في المتن يتصرف فيه ولايعيده بصورته، فإذا كثرت طرقه أورد لكل طريق وإن قلت اختصر المتن أو الإسناد فلا يوجد في كتابة حديث على صورة واحدة في موضعين فصاعدا إلا نادرا (3) ومثال تكرار الحديث باختلاف يسير في اللفظ بإسنادين مختلفين (باب حلاوة الإيمان): حدثنا محمد بن المثنى، قال: حدثنا عبد الوهاب الثقفي قال: حدثنا أيوب عن أبي قلابة عن النبي (ص) قال: ثلاث من كن فيه وجد به حلاوة الإيمان: أن يكون الله ورسوله أحب إليه مما سواه. وأن يحب المرء لايحبه إلا لله، وأن يكره أن يعود في الكفر كما يكره أن يقذف في النار(4) ثم أورد هنا الحديث في باب آخر على الوجه الآتي(باب من أكره أن يعود إلى الكفر كما يكره أن يلقى في النار من الإيمان): حدثنا سليمان بن حرب قال حدثنا شعبة عن قتادة عن أنس . رضي الله عنه . عن النبي (ص): ثلاث من كن فيه وجد حلاوة الإيمان: من كان الله ورسوله أحب إليه مما سواهما، ومن أحب عبدا لا يحبه إلا لله، ومن يكره أن يعود في الكفربعد أن أنقذه الله،كما يكره أن يلقى في النار(5).

فهنا نلاحظ أن الفرق بين الحديثين واضح تماما من خلال المتن والإسناد حيث نرى أن الرواة في الحديث الذي أورده في باب حلاوة الإيمان غير الموجودين في الحديث الذي أورده في باب من كره أن يعود في الكفر. مع العلم أن المتن هو نفسه والحديث واحد كما هو واضح أمامنا.ولذلك نرى الإمام البخاري لايكاد يشبع من استخراج المسائل، واستنباط الفوائد، والنزول إلى أعماق الحديث، والتقاط الدرر منه، والخروج على قرائه بها، حتى يذكر حديثا واحدا عشرين مرة.

وقد روى حديث بريرة عن عائشة أكثر من اثنين وعشرين مرة واستخرج أحكاما وفوائد جديدة. وروى قصة موسى والخضر في أكثر من عشرة مواضع.

وأخرج حديث كعب بن مالك في تخلفه عن غزوة تبوك في أكثر من عشرة مواضع، وفوائده أكثر من خمسين.

تعليق البخاري للبخاري وتقطيعه:

التعليق هو حذف من مبتدأ إسناده واحد فأكثر ولو إلى آخر الإسناد، فتارة يجزم به ك"قال" وتارة لايجزم به "يذكر" أو يكون بصيغة لاتفيد الجزم مثل روى عن فلان أو يحكي عن فلان وتسمى صيغة تمريض(6).

والسبب في سلوك البخاري هذه الطريقة أنه يستدل لسائل كتابه التي تردج بها فأتى بالأحاديث معلقة لهذا الغرض.

فالقسم الأول هو المعلق بصيغة الجزم فإن هذه الصيغة تعتبر حكما بصفة الحديث إلى من علق عنه فقط. لأنه لايستجيز أن يجزم بالحديث عنه ونسبته إليه إلا وقد صح عنده انه قاله، فإذا جزم به عن النبي (ص) أو عن الصحابي فهو صحيح(7).

ومثال الصحيح قوله في الصوم، وقال صلة عن عمار، من صام يوم الشك فقد عصى أبا القاسم، ومثال الضعيف قوله في الزكاة (وقال طاووس: قال معاذ بن جبل لأهل اليمن ائتوني بعرض ثياب...) فإسناده إلى طاووس صحيح لكنه لم يسمع من معاذ بن جبل، فالإسناد منقطع غير صحيح.

وأما القسم الثاني من المعلق عند البخاري وهو ما كان بغير صيغة الجزم فهذه الصيغة ليست حكما بصحة مارواه عنه لأنها تستعمل في الحديث الصحيح وتستعمل في الضعيف أيضا، مثال الصحيح قوله في الصلاة: (ويذكر عن عبد الله بن السائب قال: قرأ النبي (ص) المؤمنون في الصبح، حتى إذا جاء ذكر موسى وهارون أو ذكر عيسى أخذته سعلة فركع) وهو حديث صحيح أخرجه مسلم (8) ومثال الضعيف: قوله في الوصايا "ويذكر أن النبي (ص) قضى بالدين قبل الوصية" وقد رواه الترمذي موصولا من طريق الحارث الأعور عن علي والحارث ضعيف .

والمعلقات في صحيح البخاري أنواع متعددة منها ماهو مرفوع ومنها ما هو مقطوع ولقد اعتنى بها العلماء وبحثوا فيها كثيرا ولعل أوفى بحث فيها هو بحث الحافظ ابن حجر في الكتاب الذي أفرده في هذا المجال وسماه تعليق التعليق (9).

أما تقطيعه للحديث في الأبواب تارة واقتصاره منه على بعضه أخرى فذلك لأنه إن كان يرى في ذلك بعض الأسباب والفوائد منها:

1. إذا كان المتن قصيرا أو مرتبطا بعضه ببعض، وقد اشتمل على حكمين فصاعدا فإنه يعيده حسب ذلك مراعيا مع ذلك عدم إخلائه من فائدة حديثه(10).

2 إذا ضاق على البخاري مخرج الحديث حيث لايكون له إلا طريق واحد فيتصرف فيه حينئذ، فيورده في موضع معلقا، ويورده تارة قائما وتارة مقتصرا على طرفه الذي يحتاج إليه في ذلك الباب (11).

3 إذا كان المتن مشتملا على جمل متعددة لاتعلق لإحداها بالأخرى فإنه يخرج كل جملة منها في باب مستقل فرارا من التطويل وربما ساقه بتمامه، وأما اقتصاره على بعض المتن ثم لايذكر الباقي في موضع آخر فإنه لايقع له ذلك في الغالب إلا حيث يكون المحذوف موقوفا على الصحابي، وفيه شيء يحكم برفعه فيقتصر على الجملة التي يحكم لها بالرفع، ويحذف الباقي لأنه لاتعلق له بموضوع كما وقع في حديث هزيل بن شرحبيل عن عبد الله بن مسعود (ض)قال: إن أهل الإسلام لايسيبون وأن أهل الجاهلية كانوا يسيبون وهكذا أورده وهو مختصر عن حديث موقوف أوله: جاء رجل إلى عبد الله بن مسعود فقال إني أعتقت عبدا له سائبة فمات وترك مالا ولم يترك وارثا فقال عبد الله: إن أهل الإسلام لايسيبون وأن أهل الجاهلية كانوا يسيبون. فأنت ولي نعمة فلك ميراثه، فأنت تأثمت وتحرجت في شيء فنحن نقبله منك ونجعله في بيت المال (12).فالبخاري هنا اقتصر على أن يعطي حكم الرفع من هذا الحديث الموقوف وهو قوله "إن أهل الإسلام لايسيبون" واختصر الباقي.

وأما الموقوفات فإنه يجزم بما صح عنده، ولو لم يكن على شرطه ولايجزم بما كان في إسناده ضعف أو انقطاع إلا حيث يكون منجبرا، إما بمجيئه من وجه آخر وإما بشهرته عمن قاله،وإنما يورد مايورد من الموقوفات من فتاوى الصحابة والتابعين ومن تفاسيرهم لكثير من الآيات على طريق الاستئناس والتقوية لما يختاره من المذاهب في المسائل التي فيها الخلاف بين الأئمة.

وفي الأخير، بقي أن أشير إلى أن منهج الامام البخاري في جمع الحديث كان دقيقا وفريدا من نوعه فرغم حفظه الكبير واتساع مداركه ومعرفته العميقة للرجال فقد وضع ضمن شروط الصحة: الضبط والاتصال واشتراطه اللقاء والمعاصرة في الاحاديث المعنعنة.

لذا، فالإمام البخاري كان رائدا بالفعل في الحديث الصحيح فلولاه لضاعت الكثير من الاحاديث الصحيحة.

فيكفي قراءة شخصية البخاري ومنهجيته لنعرف من هو البخاري، وأظنه كافيا للرد على من يشكك في شخصية البخاري ومنهجيته في جمع الصحيح من قبل أناس عميت قلوبهم مصداقا لقوله تعالى "إنها لاتعمى الابصار ولكن تعمى القلوب التي في الصدور".

والسلام عليكم ورحمة الله تعالى وبركاته.

الهوامش:

1. منهج النقد في علوم الحديث. ص:239.
2. صحيح الامام البخاري. ج/1ص:30 المكتبة العصرية/بيروت.
3. نفس المرجع. ص:31.
4. منهج النقد في علوم الحديث. ص:352.
5. نفس المرجع والصفحة.
6. صحيح مسلم. ج/2.
7. منهج النقد في علوم الحديث. ص:355.
8. مقدمة فتح الباري. ص:15.
9. نفس المرجع. ص:16.
10. مقدمة فتح الباري. ص:16.

الشخصية المحمدية من خلال المديح النبوي (نظرة تاريخية)

■ للدكتور حلمي القاعود

كان الشعر العربي الإسلامي، ومازال، وعاء يحمل الرؤية الإسلامية للشخصية المحمدية، باعتباره فن العربية الأول، وهي رؤية متنوعة الملامح والسمات، ومتفاوتة في التعبير والأداء، ولكنها تتفق منذ بدأ الشعر يتناول محمد (ص) على أنه يمثل العنصر الرئيسي في حياة المسلمين، ماضيا وحاضرا ومستقبلا، كما يمثل عنصرا أساسيا للقلق والتوتر لدى الأطراف المعادية للدعوة الإسلامية وصاحبها، ومن ثم، فإن إلقاء نظرة تاريخية سريعة على المعالجة الشعرية لشخصية الرسول الكريم أمر ضروري من وجهة نظرة تاريخية سريعة على المعالجة الشعرية لشخصية الرسول الكريم أمر ضروري من وجهة نظر البحث، فقد ظل الشعراء على مدى أربعة عشر قرنا من الزمان يصوغون أشعارهم حول شخصيته (ص) باعتباره النبي المرسل، والمثال الكامل، والبطل المنتصر، والمنقذ الحضاري ... ما يعني أن الشعر الذي دار حوله، له تقاليده الفنية والموضوعية، التي تبلورت على مدار تلك الحقبة الطويلة، وهي تقاليد حفرت لنفسها آثارا واضحة في أشعار القرن الرابع عشر الهجري، ولا يمكن تجاهلها أو إغفالها بحال، وعلى هدى هذه النظرة يمكن تحديد الفارق بين المديح النبوي كلون شعري عريق، وبين ما نسميه الرؤية الحديثة لشخصية النبي (ص)، بأن المديح النبوي يعد البداية الأولى تطويرا لها، ودخولا بها إلى عالم فني رحب، يعتمد الدراما والرمز والصياغة الشعرية المستفيدة من مصاحبة الإيقاع الموسيقي إلى حد ما ..

وإذا كان الاهتمام به قيل مولده يتمثل في جانب التبشير به، فإن الاهتمام الحقيقي به من خلال الشعر كان بعد مولده (ص)، بل منذ اللحظة التي استقبل فيها الحياة، فبعد أن علم عبد المطلب بمولده أخذه، وانطلق إلى الكعبة، وقام يدعو ويشكر الله الذي أعطاه غلاما طاهرا زكيا، يتفوق على بقية الغلمان، ويطلب من الله أن يحفظه حتى يراه مكتمل الرجولة، يقول :

الحمد لله الذي أعطاني
هذا الغلام الطيب الأردن
قد ساد في المهد على الغلمان
أعيذه بالبيت ذي الأركان
حتى يكون بلغة الفتيان
حتى أراه بالغ البنيان
أعيذه من كل ذي شنآن
من حاسد مضطرب العنان

وكان الطفل يحب عمه الزبير بن عبد المطلب، ولا ينسى ما قيل له إن هذا العم كان يرقصه وهو صغير، ويقول :

محمد بن عبدم نشت بعيش أنعم
في دولة ومغنم دام سجيس الأزلام

المديح النبوي في عصر النبوة :

هناك ثلاثة من الشعراء الكبار كانت لقصائدهم حول النبي (ص) شهرة تاريخية بسبب ارتباط أصحابها بمواقف هامة من صاحب الدعوة عليه الصلاة والسلام، والعراء الثلاثة هم : أعشى قيس، وكعب بن زهير وحسان بن ثابت.

وجاء الشاعر حميد بن ثور العلالي إلى رسول الله (ص) هي أشعار الوفود، ففي العام التاسع من الهجرة أقبلت وفود من شتى أنحاء الجزيرة لتعلن إسلامها أمام النبي (ص) تعبيرا عن مشاعرهم الجياشة تجاه الرسول المنتصر، الذي تغلب في العام الثامن للهجرة على زعماء قريش، وفتح مكة، ودخل الناس في دين الله أفواجا، وكان شعراء الوفود يمثلون خليطا من مسلمين وآخرين لم يسلموا، ولكنهم جميعا عبروا عن مشاعر الانبهار والإعجاب بالنبي (ص) فأغدقوا عليه كريم الصفات، من خلال أسلوب عفوي بسيط سهل ... وكان من هؤلاء الشعراء مالك بن نمط.

ما بعد عصر النبوة

إذا كان عصر النبوة قد تناول الشخصية المحمدية مباشرة، فإن الشعراء بعد وفاة النبي (ص) قد تناولوها من خلال قضايا ومواقف جديدة ارتبطت بحركة الدعوة، خاصة الفتوحات الإسلامية وما رافقها من غزوات ومواجهات مع أعداء الدين، كذلك فإن الشخصية المحمدية ارتبطت ارتباطا شبه كامل بآل بيته (ص) بعد الانقسام المذهبي الذي أججته الخلافات السياسية بين الأمويين من جانب، والعلويين والعباسيين من جانب آخر، ونشأ تيار جديد بجوار التيار المحافظ، وظل جذوره في تربة الشعر، وعرف بتيار التشييع لآل البيت، واستمر هذا التيار قويا في معظم الفترات - كما التيار المحافظ - حتى يومنا هذا، بيد أن الشخصية المحمدية في هذا التيار تأتي غالبا من خلال أشخاص آل البيت المشهورين، أمثال : علي بن أبي طالب، وفاطمة الزهراء، والحسين بن علي، ومن ينتمي إليهم من شيعة آل البيت، أو من أطلق عليهم اسم «الهاشميين»، نسبة إلى بني هاشم، في مواجهة الأمويين الذين ينتسبون إلى بني أمية، وهناك عدد من الشعراء نسجوا العديد من القصائد في مدح آل البيت، منهم الفرزدق، والكميت، ودعبل الخزاعي، والشريف الرضي الشريف... وغيرهم بل إن شاعرا شعوبيا مثل «مهيار الديلمي» استهواه مدح آل البيت.. ليحقق من خلال مدحهم التعبير عن رفضه للتمييز العنصري، والانتقام لانتمائه الشعوبي (الفارسي).

ونلاحظ هنا نموا ملحوظا لتيار آخر، هو تيار التصوف الذي امتزج بالتيار المحافظ، ليشكلا حائطا من حوائط الدفاع عن الإسلام بالشخصية المحمدية، وإن تميزت طبيعة كل من التيارين ومفهومها للشخصية المحمدية، فبينما سار التيار المحافظ في رؤيته للشخصية المحمدية كوسيلة دفاعية ضد الهجوم الخارجي، فإن تيار التصوف قد تمسك بالشخصية المحمدية كعنصر من عناصر الهوية الإسلامية، ووسيلة من وسائل النجاة على المستوى الذاتي أو الشخصي، وقد نرى امتزاج التيارين لدى شاعر واحد، حيث نرى خصائص التيارين معا، وهذا الامتزاج يحدث غالبا في فترات المواجهة المسلحة مع الأعداء، كما حدث في مواجهة الصليبيين بالشام ومصر، ولعل «البوصيري» خير من يمثل هذا الامتزاج ولذا سنتوقف عند قليلا باعتباره أفضل شعراء هذا القرن تعبيرا عن الشخصية المحمدية، وأقواهم تأثيرا فيمن تلاه من الشعراء حتى عصرنا الراهن.

وأشهر قصائد «البوصيري» قصيدتان : البردة أو الميمية، والهمزية.

وهناك قصائد تنشد عادة في ختام حلقات الذكر، وكان البوصيري يخصص الجزء الأخير من قصائده عادة للصلاة والتسليم على النبي، ولكنه أنشأ بعض القصائد خصيصا للصلاة والتسليم على النبي، ولكنه أنشأ بعض القصائد خصيصا للصلاة والتسليم، مثل قصيدته «المضرية في الصلاة على خير البرية».

يا رب صل على المختار من مضر
والأنبيا وجميع الرسل ما ذكروا
وصل رب على الهادي وشيعته
وصحبه من لطى الدين قد نشروا
وجاهدوا معه في الله واجتهدوا
وهاجروا وله آووا وقد نصروا
وبينوا الفرض والمسنون واعتصبوا
لله واعتصموا بالله وانتصروا
أزكى صلاة وأنماها وأشرفها
يعطر الكون ريا نشرها العطر

لقد تطورت المنظومات التي دارت حول النبي (ص) في أحد جوانبها إلى ما يعرف «بالمولد النبوي»، على المستوى الشعبي، وهي منظومات باللهجات الدارجة يلقيها المداحون في الاحتفالات الإسلامية كالأعياد وذكرى الهجرة ومولده (ص)، لقد وضع بذرة هذا التطور بصورة ما الفاطميون حين الموالد كانت تتميز بإنشاء المدائح النبوية الكثيرة، التي أخذت تلتحم بها نظرية الإسماعيلية في الإمامة، ونسبة الإمام دارت الرسول إلى عالم القدس ورغم أن هذه النظرية اقتصرت على بعض طوائف الشيعة، فإن الوجدان الشعبي خاصة في مصر، كان يكن حبا خالصا للنبي وآله، وما لم ينزلق إلى الغلو الذي انزلقت إليه بعض الطوائف، كذلك فإن الاهتمام بالمولد النبوي الشريف لم يقتصر على العرب وحدهم ، بل تعداهم إلى المسلمين في لغات أخرى، كما نرى مثلا في منظومة المولد النبوي للشعار التركي سليمان جلبي.

شعراء الأندلس :

ولا يختلف تناول الشخصية المحمدية لدى شعراء الأندلس كثيرا عنه لدى شعراء المشرق العربي أو شمال إفريقية، فقد تأثر واضحا للتشيع، ولعل الغلبة كانت للشعراء المتصوفين الذين وجدوا في «محمد» (ص) حبيبا يبثونه شواقهم وأشجانهم وأحلامهم، ولذا نرى ألحاحا كبيرا على ذكر الأماكن المقدسة، خاصة قبر الرسول (ص)، يقول ابن العريف معبرا عن شوقه إلى زيارة قبر المصطفى، والا ستمتاع بنسيمه :

والسؤال الآن : هل هناك علاقة بين ما فعله الشعراء القدماء وشعراء القرن الرابع عشر الهجري في تناول الشخصية المحمدية؟

والإجابة : نعم، هناك علاقة قوية بين الفريقين، من حيث التيارات والتشكيل الفني للنصوص، وإن اختلفت ظروف التناول وصور النصوص التشريعية .

فما زالت معظم التيارات القديمة : التيار المحافظ، وتيار التصوف، وتيار التشيع، وتيار التأمل الذاتي تضرب بأقدامها في شعر القرن الرابع عشر الهجري، وإن توحد معظمها حول التيار المحافظ، للدفاع بالنبي (ص) وعنه، أمام الهجمة الاستعمارية الشرسة التي التهمت العالم العربي وقطعته دولا ودويلات، بينها من أسباب التفرق والتمزق أكثر مما بينها من عوامل التوحد والتكتل، بالرغم من أن العكس هو الصحيح.

كذلك فإن النهضة الشعرية التي جرت على أرض الواقع العربي في القرن الرابع عشر الهجري قد أثرت بصورة تلقائية على طبيعة التناول الشعري للشخصية المحمدية، فقد تطورت القصيدة من البناء التقليدي إلى البناء المتجدد، إلى استخدام محمد (ص) كرمز، إلى التعبير عنه من خلال المسرحية والملحمة والقصيد السمفوني.

ولم يعد النص مجرد مديح لمحمد (ص) ، يعدد صفاته ومناقبه في مواجهة الخصوم، بل تعداه إلى رمز حضاري كبير، يعني مستقبل أمة ومصيرها، وتستلهمه في بناء ذاتها وحضارتها الجديدة ...

وهذا ما تقدمه النصوص الشعرية- وما أغزرها- في القرن الرابع عشر الهجري....

باختصار:

عن كتابه: محمد(ص) في الشعر

بين الدين والضمير

إعداد الدكتور: حسن عزوزي

مانفك الغرب بمنظومته الأخلاقية المتهافتة يطلع علينا من حين لآخر بمزيد من الفضائح والأعمال السلوكية التي تنم عن تدن صارخ لمنظومة الأخلاق وتهافت واضح لسلطان الضمير.

لقد عرف الغرب في السنوات الأخيرة أزمات أخلاقية كثيرة جعلت كبار الساسة والمسؤولين المهتمين يستفيقون. إلى حد ما. من غفلتهم ويستشعرون خطورة ذلك لكن دون الاهتداء إلى الدوافع والأسباب الكامنة وراءحدوثها. ويبدو أن الإنسان الغربي قدأصبح يعيش. أكثر من أي وقت مضى. في دوامة من الألغاز والمعميات تضافرت على إفرازها الحضارة الغربية بكل مقوماتها المادية والكنسية النصرانية بجميع أساطيرها وأسرارها الغامضة. وقد أوقعه كل ذلك في قلق نفسي وفكري دائم،فهو إما أن يستجيب لمنطقه المادي فيجعله في عداد الملحدين التائهين وإما أن يكل نفسه إلى القلق الروحي الدائم الذي يظل مسيطرا عليه إلى أن يؤدي به إلى أشكال من الشذوذ والانحراف وانعدام الأخلاق والوازع الديني، وإما أن يلغي عقله ليحتفظ بمجموعة من العقائد الفاسدة والأوهام الضالة التي لاتزال الكنيسة تحميها وتغذيها بقوة.

ولعل آخر ماتلقفناه من وسائل الإعلام الغربية في هذا الصدد خبر اعتزام طائفة دينية في الغرب على استنساخ المسيح. عليه السلام. من خلال صورته التي يزعم أنها أخذت تتشكل وتتكون على قماش أزرق قديم يعود عهده إلى أكثر من ألف سنة.وذكر أنه من الممكن استنساخ الصورة في شكل إنسان حي سيكون هو السيد المسيح والهدف من ذلك كما زعم هو استعجال عودته إلى الحياة الدنيا لكي يخلص الناس من مآسيهم ومتاعبهم الدينية.

ولعل الغريب في الموضوع هو أن الفاتيكان قد سمح للطائفة الدينية إقدامها على مثل هذا العمل، مما يدل بجلاء على أن الكنيسة الكاثوليكية لاتزال تصر على إيقاع أتباعها في الأوهام والأساطير والمعميات التي عرفت بها عبر تاريخها الطويل.

والمثير للانتباه أن بعض المحللين والمعلقين على هذا الخبر قد تشبثوا بمنطق الضمير على اعتبار أن ضمائر أتباع الطائفة أوحت لهم بصنيعهم، فالضمير على هذا الأساس. حسب قولهم. له قوته وتأثيره وهيمنته. وهنا لابد من القول بأن كثيرا مايقع هذا الخلط على ضعاف الإيمان الذين يزين لهم الشيطان أعمالهم ويوهمهم بأن الضمير مهما كان مجردا يهدي إلى الحق والصواب كما هو الشأن بالنسبة لمبادئ الدين وتعاليمه النابعة من مشكاة الوحي.

من جهة أخرى فإذا كان الغرب يحاول دوما أن يستعيض عن الدين بوحي الضمير وأن يتخذ منه الأساس الذي لايخطئ في زعمهم، فإن ما يشاع بين بعض الطوائف من أن الضمير قوة فطرية معصومة بطبيعتها ويمكن اتخاذها أساسا للحكم على الأخلاق يعتبر جنوحا إلى متاهات الضلال والانحراف.

فالإنسان لابد له من رقيب أقوى من الضمير وسلطان أقوى من العقل، فالضمير ليس قوة فطرية معصومة بطبيعتها، بل الضمير متأرجح متقلب لايستقر له قرار، كما أنه يتكون ويتشكل بحسب ما يتغذى به من ثقافة وبيئة وتربية قد تختلف لدى الفرد الواحد حسب اختلاف الروافد التي تمده بالثقافة العقلية والتهذيب الروحي وبحسب أخلاق وقيم من يخالطهم ويلازمهم الإنسان في حياته، والضمير يكون، دائما، في حاجة إلى تربية وتهذيب وتقويم لأنه كثيرا مايغشيه الهوى وتسيره المنفعة الخاصة، فإذا ربي الضمير على معنى التحرر من المبادئ الدينية وقيم الأخلاق الكريمة أو اعتبارها نسبية لاترتبط بمثل ثابتة فإن الضمير في هذه الحالة ينساق وراء هذا التيار، (ولن يكون الضمير حيا إلا إذا كان موصولا بأمر الله وتكون رقابته هي رقابة الله تعالى الذي لاتخفى عليه خافية والتي يستحيل خداعها أو الاستخفاء منها. أما رقابة القانون وأخلاق القانون الوضعي فإنه لاحياة لها إذ يطالها الغش والخداع والتحايل).

إن الدين هو الذي يوقظ الضمير ويرشده ويوجهه ويمنحه السداد، فالضمير إذا لم يرب في ضوء هداية السماء كان خافت الصوت ضعيف السلطان وقد يؤدي بصاحبه إلى فعل أمور وسلوك طرق غير آمنة كما هو الشأن في قضية الاستنساخ التي أملى الضمير الغربي ضرورة اللجوء إليها اعتبارا لما سوف يحققه ذلك من مكاسب علمية رائدة ومتطورة وإن كان ذلك على حساب الثوابت الدينية والقيم الروحية المتعارف عليها.

إن الضمير لايعدو أن يكون شعورا نفسيا داخليا تنعكس عليه أعمال المرء فيرى فيها تقدير هذه الأعمال ويتسنى له أن يحكم عليها بالخير أو الشر، ولذلك فالضمير الخلقي ليس فطريا بل هو قوة مكتسبة عن طريق الممارسة الفعلية المستمرة للقيم الخلقية المرغوبة.

إن الإسلام لايعتد بضمير بدون دين كما لا يعتد بخلق بدون دين، فالتدين وماينشأ عنه من مراقبة دائمة وخشية لله هو الدعامة الأساسية التي يقوم عليها الضمير الخلقي في الإسلام ولذلك قال أحد الحكماء :"إن ضميرا بلا اعتقاد في الله يكون كمحكمة ليس بها قضاة".

والغرب عندما اتخذ الضمير أساسا للحكم على أمور وقضايا الحياة على اعتبار أنه قوة فطرية معصومة سوف يبقى دوما في دوامة من الأوهام القاتلة والحالات النفسية العصيبة التي تدفع، أحيانا، إلى اليأس والملل، وبالتالي سوف يضطر إلى البحث عن ملاذات نفسية آمنة بديلة لايكاد يهتدي إليها.

ولاشك أن مايعاني منه الغرب من فراغ روحي ووازع ديني وانعدام للضمير المهذب الذي يهتدي بأنوار الدين وهداياته ليعتبر من أبرز عوامل ومؤشرات انحدار وتهافت منظومة الأخلاق والقيم والسلوك. وهذا الانحدار وإن ظهرت بذوره منذ مدة إلا أن حدته وتفاقم أمره في الفترة الأخيرة جعلت بعض عقلاء وعلماء التربية والأخلاق في الغرب يتنبهون إلى خطورة ضمور وخمود العامل الديني والروحي لدى الإنسان الغربي الذي لم يعد يضع حدا لشهواته الجنسية الشاذة أو وهمه العلمي الفاسد أو تصوره الديني الفارغ،مما يؤدي حتما إلى سلوك الأفراد والجماعات لأعمال منحرفة وتصرفات شاذة لايمكن تفسيرها إلا بغياب رقيب أقوى من الضمير وسلطان أرجح من العقل، إنه غياب العامل الديني والوازع الروحي، فالدين هو الذي يوقظ الضمير ويرشده وهو الذي يوجه العقل ويسدده، وإن هيمنة الدين على الضمير يجب أن تستمر مدى الحياة، لأن هذه الهيمنة إذا اختلت اختل الضمير واضطربت مقاييسه وأصبح الإنسان يسلك دروبا مظلمة ومسالك موحشة، وقد يعتقد انه يهتدي بأنوار العقل والضمير، في حين أن انعدام الوازع الديني لديه يجعله يقتحم تلك الدروب والمسالك من غير هاد ولاسلطان فيقع في شراك نزواته وأهوائه ويهبط إلى درك الحيوانية.

وهكذا يظهر لكل ذي لب حصيف أنه لايمكن البحث عن مصادر للأخلاق والفضائل والقيم المثلى في غير إطار الدين الحق، وإن في تجاوز هذا الإطار ضلالا وإضلالا، لأن الضمير الإنساني الذي يتشدق الكثير بكونه الهادي إلى الصواب والرقيب على الإنسان لابد من أن يربى تربية دينية سليمة وأن يهذب تهذيبا قويما لكي يستقيم على منهج الخير ويكون رقيبا على أعمال الإنسان وتصرفاته.

(تتمة ص: 14)

ويستخلص من هذا أن الرسالات الإلهية تعين الإنسان على مقاومة ما أودع نفسه من غرائز قد تجره إلى الفساد ، ليسيطر عليها ويجعلها دائما في طريق السداد ، ولأن الله خلق الإنسان وفيه نزعة الخير ونزعة الشر كما قال سبحانه ، ونفس وماسواها فألهمها فجورها وتقواها ، سورة الشمس/ الآيتان 7. 8 . فكان لابد من حكم يقوي نزعة الخير ويكون ذلك الحكم من خالق الأنفس فكان ذلك الحكم تكليفا وتوجيها وإرشادا، وإن الأخرة ما دامت دار بقاء بعد حساب ، ولا حساب من غير تكليف ، فكان لابد من التكليف والمطالبة ليكون الحساب على أساس الاستجابة لذلك التكليف كما قال سبحانه وتعالى : « وما كنا معذبين حتى نبعث رسولا » سورة الإسراء الآية 15.

وماكان هؤلاء الرسل الكرام الذين بعثهم الله إلى الناس رسولا بعد رسول في أماكن شتى وأزمنة مختلفة. ما كان هؤلاء الرسل الكرام . إلا تمهيدا وإعدادا للرسالة العامة الخاتمة، بعد أن ترددت في أسماع الناس دعوة التوحيد ودار الحديث حولها وكثر الجدل فيها بين الرسل والتابعين لهم وبين المعاندين المشاقين المكذبين.

إن دعوات الرسل وأتباعهم كانت أشبه بإعداد الأرض للزرع واستقبال ما ينزل من السماء من ماء لاستنبات ما يلقى فيها من حب ، ومن هنا اقتضت حكمة الله تعالى أن يختم رسالاته إلى الناس بخاتم أنبيائه سيدنا محمد صلوات الله وسلامه عليه، فلا تكون بعد رسالته رسالة ولابعد نبوته نبي إذ يقول سبحانه ، ما كان محمد أبا أحد من رجالكم ولكن رسول الله وخاتم النبيئين وكان الله بكل شيء عليما، سورة الأحزاب الآية 40. فإنه بمحمد(صلى الله عليه وسلم) ختمت رسالات الله وقامت رسالته صلوات الله وسلامه عليه، رسولا للناس أجمعين على اختلاف ألوانهم وأجناسهم وأوطانهم إلى أن تطوى صفحة الناس على هذه الأرض.

وسبحانه الحكيم العليم، فلقد بدأ الناس عند مطلع الرسول (صلى الله عليه وسلم) تتقارب وجوه حياتهم ومعطيات عقولهم، وكما تتفتح مغالق أوطانهم بعضها على بعض، حتى لقد أصبح العالم اليوم بعد أربعة عشرة قرنا من الزمان ، أشبه بوطن واحد بما وصل إليه العقل البشري من اختراع وسائل لا حصر لها من اتصال الناس بالناس في مشارق الأرض ومغاربها ، فالإنسان اليوم يكون في أقصى الغرب من هذا العالم، ثم إذا هو في أقصى الشرق بعد ساعات معدودة على متن طائرة ، بل إن الانسان في أي مكان يستطيع أن يجمع العالم كله بين يديه فيرى عبر الوسائل المرئية كل ما يجري في شتى أنحاء العالم كله وأحداثه وهو جالس في مكانه، هذا فضلا عن الصحف والمجلات، والكتب التي يجدها الإنسان بين يديه ، حاملة إليه أخبار العالم وأفكار العلماء وهوجالس في مكانه لا يبرحه ولا يخطو خطوة واحدة فتم بذلك التواصل الثقافي والنقل الحضاري بين الأجيال.

ومن هنا كان مما اقتضته الحكمة الإلهية جمع الناس على عقيدة واحدة ، وشريعة واحدة يحملها خاتم الرسل حتى تكون الإنسانية أمة واحدة مهما امتد الزمان بهذا اليوم الذي يتحقق فيه وعد الله تعالى في قوله سبحانه : «هو الذي أرسل رسوله بالهدى ودين الحق ليظهره على الدين كله ولو كره المشركون» سورة التوبة / الآية 32.

إن الرسالة الإسلامية التي حملها كتاب الله وهو القرآن الكريم هي في ذاتها رسول خاتم في الناس على مدى العصور بما تحمل آيات الله وكلماته من دلائل الإعجاز التي كان يحملها كل رسول بين يديه سواء في هذا ما كان من إعجازها البلاغي أو الإعجاز التشريعي الذي يخلد على الزمان ، مستعليا على كل ما صنع ويصنع الناس من تشريعات وهدايته.

إن النبوة شقت طريقها في الوجود الإنساني ووجهت المجتمعات في مختلف أطوار التاريخ إلى أكرم الفضائل واتخاذ أيسر الوسائل لتحسين الأوضاع وبناء الحضارات واكتساب المعلومات في جميع الأقصاع ، وإن جحد وجود الوحي الملحدون وكابر في هدايته المتنطعون.

تجديد العهد في ملحمة ذكرى المولد

إعداد الأستاذ : منصور

إن أعظم ذكرى نعتز بها، وأفضل يوم نسعد بروحانيته كلما أشرق هلال شهر ربيع الأول ذكرى ميلاد رسول الإنسانية سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم الذي كان اشراقه على هذه الأرض رحمة للعالمين وبشرى للخلق أجمعين..

وفي هذه الذكرى نجدد العهد والميثاق للرسول الأكرم ونجدد الحب العظيم الذي لا يقارنه حب الأهل والعشيرة . بل هو حب مطابق لقوله صلى الله عليه وسلم: «لا يؤمن أحدكم حتى أكون أحب إليه من نفسه» وبإدراك المرء لحب رسول الله صلى الله عليه وسلم يذوق حلاوة الإيمان وينشرح صدره بالإسلام ويطمئن قلبه بالإيمان ، كما قال صلى الله عليه وسلم: (ثلاث من كن فيه وجد حلاوة الإيمان أن يكون الله ورسوله أحب إليه مما سواهما ، وأن يكره أن يعود في الكفر كما يكره أن يقذف في النار) متفق عليه.

وحبنا لرسول الله أعظم حب وأقدسه، وأكرم الحب وأبقاه لأنه من الله وفي الله ولله ((والذين آمنوا أشد حبا لله، سورة البقرة / الآية 165.

إلا أن أعظم من كانوا مولعين بحب النبي صلى الله عليه وسلم هم أصحابه رضوان الله عليهم.

وقد وصف الصحابة حال جلوسهم واستماعهم للنبي صلى الله عليه وسلم بوصف عجيب جاء في أحاديث عدة منها قول أبي سعد الخدري" وسكت الناس كأن على رؤوسهم طير ، رواه مسلم.

ومن شدة حب النبي صلى الله عليه وسلم وقفت أم حبيبة ابنة أبي سفيان في وجه أبيها عندما دخل بيتها فلم تتركه يجلس على فراش رسول الله ، فطوقته فقال لها يا بنية أما أدري أرغبت بي عن هذا الفراش أو رغبت به عني؟

فقالت هو فراش رسول الله صلى الله عليه وسلم وأنت مشرك نجس فلم أحب أن تجلس على فراشه.

ومن شدة حرص الصحابة على تعظيمه وتوقيره قول أنس بنُ مالك : « إن أبواب النبي صلى الله عليه وسلم كانت تقرع بالأظافير..»

فهذه هي ذكرى المولد تجديد للعهد والوفاء والحب والصفاء، أما من يحتفل بالذكرى باللهو والسمر والغناء ونزهة الفجور فقد اتخذوا دينهم هزؤا ولعبا ، فالاحتفال بذكرى المولد ليس مؤتمرات تقام وتنقض، وقصائد عصماء وخطبا رنانة ويقف عند هذا الحد... ويظل الجميع سادرا في غيه غافلا عن رسالته، بعيدا عن جوهر الدين...

وهانحن ندعو أن تكون الاحتفالات بمولد رسول الله صلى الله عليه وسلم الهادي البشير مظهرا للحب ، واكتسابا لشرف الولاء ، وعهدا وميثاقا على حسن الاقتداء ، واستمرارا للدعوة وشوقا للجنة والغنيمة برضا الله سبحانه وتعالى...

ولا يتحقق ذلك إلا بالاستمساك الدائم بمنهج الدعوة الإسلامية ودستورها الخالد والاقتداء بالقدوة الحسنة ، لقد كان لكم في رسول الله إسوة حسنة لمن كان يرجو الله واليوم الأخر،

فنحن مطالبون اليوم بالإخلاص والتشمير عن ساعد الجد وبذل النفس والنفيس لحماية القيم العليا التي جاء بها رسول الله صلى الله عليه وسلم.

(تتمة ص: 10)

2. ولقد أنصف البخاري رحمه الله حينما قال في محمد بن الحجاج هذا: "منكر الحديث"ولقد نقل ذلك عنه العقيلي في كتابه في الضعفاء، فعلا أنصفت الكاتبة من نفسها، فنقلت ذلك؟!! وهي التي تراجع غالبا العقيلي، وتنظر كتابه؟!!

3. تهورت الكاتبة في قولها إن الشوكاني وابن القيم قالا في حديث الهريسة: "موضوع"بل قال الأول بعد ذكر من روى الحديث:"وله طرق لاتصح"،وأورده الثاني ضمن أحاديث بوصف الأطباء والطرقية أشبه واليق، ونحن وإن كنا لانجادل في وضع هذا الحديث، فإننا أردنا بهذا الذي قلناه بيان عدم أمانة الكاتبة في النقل، وتعديها على نصوص أهل العلم، وتحريفها إلى مبتغاها.

4. لاتناقض بين حديث البخاري وما أخرجه الإمام أحمد في مسنده عن عائشة:"كان رسول الله (ص) ما من يوم إلا وهو يطوف علينا جميعا امرأة إمرأة، فيدنو ويلمس، من غير مسيس، حتى يفضي إلى التي هو يومها، فيبيت عندها"، وذلك أن أهل العلم أجابوا عن حديث أنس بأجوبة منها: أن فعله ذاك كان قبل وجوب القسمة بين النساء، وقيل: إن القسم لم يكن واجبا عليه، أو يكون ذلك حاصلا برضا صاحبة النوبة، ونشير هنا إلى أن البخاري، أورد حديث عائشة الذي ساقته الكاتبة من مسند أحمد، لعدم اعتدادها بالبخاري كما هو واضح من مقالها، وذلك يفهم منه علم البخاري بحديث عائشة، وتنزيله للأحاديث منزلتها اللائقة بها من حيث الإعمال والتصديق.

5. ماذكرته الكاتبة من أن حديث أنس، يصف النبي (ص) وصفا جنسيا مبالغا فيه إلخ..غير وارد إطلاقا، بل إن في ذلك كما يقول ابن حجر، إظهارا للمعجزة البالغة في خرق العادة، لكونه كان لايجد مايشبع به من القوت غالبا، وإن وجد كان يؤثر بأكثره، ويصوم كثيرا ويواصل، ومع ذلك فكان يطوف على نسائه في الليلة الواحدة، ولايطاق ذلك إلا مع قوة البدن".

وأما ما موهت به الكاتبة من قولها: " ونهي في الحديث الصحيح عن الإفتخار بالجماع"إلخ.... فذلك وارد في نشر أسرار النكاح، مما يستحيى عادة من ذكره.

وزعمت الكاتبة أن ماقاله البخاري في عدد نساء النبي (ص) "بعيد عن الصحيح بعد المشرقين"كذا قالت!! وفي قولها من البذاءة والسماجة مالايخفى على القارئ الأريب.

واستدلت الكاتبة بقول العلاء المرداوي، أنه كان لرسول الله (ص) أن يتزوج بأي عدد شاء إلى أن نزل قوله تعالى : "لايحل لك النساء من بعد"،فتكون هذه الآية ناسخة للآية الأولى: "ياأيها النبي إنا أحللنا لك...".

وهذا الذي ذكرته الكاتبة على أنه دليل في هذه المسألة، لايقوى أمام حديث عائشة: "مامات رسول الله(ص) حتى أحل الله تعالى له النساء"، ومن أهل العلم من قال إن هذا الحديث نسخ آية "لايحل لك النساء من بعد"، ومنهم من قال: إن هذه الآية منسوخة، بآية "ترجي من تشاءمنهن وتؤوي إليك من تشاء".

10. وزعمت الكاتبة أن في صحيح البخاري "شرا وظلما فادحا في الحدود"، واستدلت على ذلك بقولها: "لأنه ينص على قطع السارق حتى في البيضة إلخ..." وهذا القول من الكاتبة فيه من التفاهة والسخف مالا يخفى على الصبيان!!

أما تفاهته، فمن جهة أن ما أورده البخاري في كتاب الحدود من صحيحه، في القدر الذي تقطع فيه اليد . فقد أسنده عن ثلاثة من أعلام الصحابة المشهورين بالرواية عن رسول الله (ص) وهم: عائشة وابن عمر وأبو هريرة:

وأما سخفه: فمن جهة أن البخاري قد شاركه غيره من نقلة الحديث،في رواية هذه الأحاديث التي فيها القطع في ثلاثة دراهم، وفي الحبل، وفي البيضة...

وبعد فلولا النصيحة لله ولرسوله، ما كان للإشتغال بالرد على هذه المقالة من معنى، إذ المقالة لاتلتزم كاتبتها بقواعد المنهج العلمي، ولا بأساليب المناظرة والحوار، دع عنك ما فيها من الركاكة في الأسلوب، والسماحة في التعبير، والمجازفة في الفهم، والإعتماد المفرط على شذوذ الكوثري... ولقد ختمت الكاتبة مقالتها بكلمة نقلها الكوثري، عن مجهول لايعرف ، من مصدر تالف يقول فيها: "من نظر في البخاري تزندق"، ونحن نقول معارضة لهذه الكلمة: من نظر في البخاري، قويت حجته، ودق فهمه، وجاد قوله، وأمن قلبه...

ألا وإن الطاعن على البخاري، أمله بعيد، وحقده دفين، فاليوم البخاري، وغدا مالك والزهري، وبعد غد مسلم والترمذي، فإذا لم يتصدى لهذا الهذيان، أوشك أهل العلم أن يغلقوا الباب، ويقولوا على الإسلام والسلام.

قصيدة في المولد الشريف أنشأها عام 1298

■ التهامي بن المهدي المزوار المكناسي

هذى السعادة قد مدت إليك يدا ... والوصل أنجز عزما ما به وعدا
أم هذه نفحة الأحباب قد وفدت ... من نحو ليلى وهذا عطفها وفدا
أهدت لنا طربا أهدت لنا أربا ... اهدت لنا قربا لا تنتهي أبدا
قد طال ما كنت أرعاها وأرقبها ... قدما وأطلب منها الوصل والرفد
حتى غدوت بها في كل آونة ... أهفو وألهج لا أخشى بها أحدا
هيهات لي كيف أسلو عن هواها وهل ... أقوى وهل أستطيع الصبر والجلدا
لا يسلني أبدا عنها سوى شغفي ... بمولد المصطفى أجل من ولدا
خير الورى وشفيع الخلق قاطبة ... يوم الزحام إذا الاحجام عنها بدا
أعلا الخلائق جاها عند خالقه ... وخير من يرتجا يوم القيام غدا
أصل الوجود ومن لولاه ما خلقت ... أرض ولا كان كون لا ولا وجدا
فهو البشير النذير المستغاث به ... وهو الذي رحم المولى به وهدى
كم آية ظهرت في آن مولده ... كم نعمة بهرت دان ومن بعدا
ياسيد الرسل داركنا بمرحمة ... تكسو الجميع على مر المدى بردا
واسدل على نجلك الميمون سيدنا ... عطفا وهيء له من أمره رشدا

قال محمد بن عبد الكريم المغيلي التلمساني

بشراك ياقلب هذا سيد الأمم ... وهذه حضرة المختار في الحرم
وهذه الروضة الغراء طاهرة ... وهذه القبة الخضراء كالعلم
وقبرالمصطفى الهادي وحجرته ... وصحبه وبقيع دائر بهم
فطب وغب عن هموم كنت تحملها ... وسل تنل كل ما ترجوه من كرم
ياسيدي يارسول الله خذ بيدي ... فالعبد ضيف وضيف الله لم يضم
ياسيدي يارسول الله خذ بيدي ... يامن لقاصده أمن من النقم
ياسيدي يارسول الله خذ بيدي ... فبحر جودك مورود لكل ظمي
ياسيد الرسل يامن ضيف ساحته ... يبيت بالأمن في خير وفي نعم
ياأكرم الخلق من حاف ومنتعل ... يافضل الناس في ذات وفي شيم
ياأشرف الأنبياء يامن شفاعته ... عمت على الخلق في الوجدان والعدم
ياصفوة الله يامولى مكارمه ... عمت على الخلق من طفل إلى هرم
إني فقير إلى عفو ومرحمة ... وأنت أدرى بما في القلب من ألم
والشائع المشروح من أقواله ... تأديبه زجرا له وعقابا
والرأي عندي أن يؤدبه الاما ... م بكل تأديب يراه صوابا
ويكف عنه القتل طول حياته ... حتى يلاقى في المآب حسابا
فالأصل عصمته الى أن يمتطي ... احدى الثلاث الى الهلاك ركابا
الكفر أو قتل المكافئ عامدا ... أو محصن طلب الزنا فأصابا

ميثاق
الرابطة
صحيفة أسبوعية جامعة
العدد 991
السنة 35
الجمعة 11 ربيع الأول 1423 هـ
الموافق 24 ماي 2002 م

المدير المسؤول:
الأمين العام بالنيابة
الشيخ ماء العينين لاراباس

مدير النشر:
إدريس كرم

رئيس التحرير:
محمد الخضر الريسوني

التحرير:
محمد القاضي
مصطفى ودادي

الثمن:3 دراهم
رقم الإيداع القانوني: 1994/160
الترقيم الدولي:ISSN: 4348

عنوان البريد الالكتروني:
rabitat @iam.net-ma
موقع الانترنيت
www.rabitat. ma

الاشتراكات السنوية
داخل المغرب: مائة وخمسون درهما

الحساب البنكي:25201015549.01
وكالة بنك الوفاء-حي أكدال -الرباط

التصفيف والإخراج الفني:
ميثاق الرابطة
العنوان:107- شارع فال ولد عمير.
رقم 7- أكدال - الرباط
الهاتف: 51 03 67 037
الفاكس: 93 45 67 037
السحب:
مطبعة فضالة- المحمدية - المغرب.

ترتيب المواد لا يخضع إلا للمقتضيات الصحافية والتقنية وتعبر عن آراء أصحابها

طبع من هذا العدد 4000 نسخة

ميثاق الرابطة

العدد 991 الجمعة 11 ربيع الأول 1423 هـ الموافق 24 ماي 2002م

المنفرجة

تعتبر قصيدة المنفرجة من عيون شعر التوسل والزهد، وهي للامام العلامة ابن النحوي وقد قام العديد من العلماء والفقهاء بشرحها وتخميسها وجعلها البعض مما يتبرك به، ومما يذكر في هذا الباب تخميس للشيخ ابن نعيم الذي أنشأه في السجن حيث يقول عنه بعضهم:

"قال الشيخ الفقيه الكاتب أبو محمد عبد الله بن عبد الله بن نعيم رحمه الله تعالى مخمسا لقصيدة الشيخ الإمام الولي المكاشف العالم الرباني المجاب الدعوة أبو الفضل يوسف بن محمد بن يوسف المعروف بابن النحوي رحمه الله ونفعنا ببركاته، وكان ابن نعيم أخذه ملك من الملوك وثقفه ولما كان بعد ليلة أو ليلتين من اعتقاله رأى النبي (ص) في منامه وأمره أنْ يسرح ابن نعيم المذكور من عقاله فاستيقظ وبعث إليه فتى في الليل فارتاج كل من في الثقاف واستشعروا شرا فاستدعى ابن نعيم من بينهم، وسيقت له بغلة وكسوة وأحسن إليه فسئل رحمه الله عن سبب ذلك فقال: لم يكن له سبب سوى أنه خمس القصيدة الجيمية عند دخوله للسجن، وهي المعروفة لأبي الفضل النحوي رحمه الله حيث يقول:

لابد لضيق من فرج ×× والصبر مطية كل شج
وبدعوة أحمد فابتهج
اشتدي أزمة تنفرج ××× قد آذن ليلك بالبلج
يا نفس رويدك لا حرج ××× وثقي بالله عن فرج
وكذا ما ضاق له فرج
وظلام الليل له سرج ××× حتى يغشاه أبو السرج
فلكل محاولة قدر ××× وقضى لا يدفعه حذر
ورجوعك عن هذا غرر
وسحاب الخير لها مطر ××× فإذا جاء لها الإبان تج
في لطف الله لنا أمل ××× لا يدني مطلبه عجل
ولكل محاولة أجل

اشتدي أزمة تنفرجي ×××× قد آذن ليلك بالبلج
وظلام الليل له سرج ×××× حتى يغشاه أبو السرج
وسحاب الخير لها مطر ×××× فإذا جاء الإبان تجي
وفوائد مولانا جمل ×××× لروح الأنفس والمهج
ولها أرج محيي أبدا ×××× فاقصد محيا ذاك الأرج
فلربما فاض الحيا ×××× ببحار الموج من اللجج

******

والخلق جميعا في يده ×××× فذوو سعة وذوو حرج
ونزولهم وصلوعهم ×××× فإلى درك وعلى درج
ومعايشهم وعواقبهم ×××× ليست في المشي على عوج
حكم نسجت بيد حكمت ×××× ثم انتسجت بالمنتسج
فإذا اقتصدت ثم انفرجت ×××× فبمقتصد وبمنفرج
شهدت بعجائبها حجج ×××× قامت بالأمر على حجج

******

ورضا بقضاء الله رجا ×××× فعلى مركوزتها فعج
فإذا انفتحت أبواب هدى ×××× فاعجل لخزائنها ولج
وإذا حاولت نهايتها ×××× فاحذر إذ ذاك من الفرج
لتكون من السُّباق إذا ×××× ما جئت إلى تلك الفرج
فهم الأعمال إذا ركدت ×××× وإذا ما هجت إذن تهج
ومعاصي الله سماجتها ×××× تزدان لذي الخلق السمج
ولطاعته وسماحتها ×××× أنوار صباح مبتلج

******

من يخطب حور العين بها ×××× يحظى بالحور وبالغنج
فكن المرضي لها بتقى ×××× ترضاه غدا وتكون نجي
وائل القرآن بقلب ذي ×××× حزن وبصوت فيه شجى
وصلاة الليل مسافتها ×××× فاذهب فيها بالفهم وجي

وتأملها ومعانيها ×××× تأتي الفردوس وتبتهج
واشرب تسنيم مفجرها ×××× لا ممتزجا وممتزج

******

مدح العقل الآتيه هدى ×××× وهوى متول عنه هجر
وكتاب الله رياضته ×××× لعقول النار بمندرج
وخيار الخلق هداتهم ×××× وسواهم من همج الهمج
وإذا كنت المقدام فلا ×××× تجزع في الحرب من الرهج
وإذا أبصرت منار هدى ×××× فاهصر فرداً فوق الثبج
وإذا اشتاقت نفس وجدت ×××× ألماً بالشوق المعتلج

******

وثنايا الحسنا ضاحكة ×××× وتمام الضحك على الفلج
وعياب الأسرار اجتمعت ×××× بأمانتها تحت الشرج
والرفق يدوم لصاحبه ×××× والخرق يصير إلى المرج
صلوات الله على المهدي ×××× الهادي الخلق إلى النهج
وأبي بكر في سيرته ×××× ولسان مقالته اللهج
وأبي حفص وكرامته ×××× في قصة "سارية" الخلج
وأبي عمرو ذي النورين ×××× من المستهدي المستحيي البهج
وأبي حسن في العلم إذا ×××× وافى بسحائبه الخلج

******

وعلى السبطين وأمهما ×××× وجميع الآل بمندرج
وصحابتهم وقرابتهم ×××× وفقاة الأثر بلا عوج
وعلى تباعهم العلما ×××× بموارق دينهم البهج
يا رب بهم وبآلهم ×××× عجل بالنصر وبالفرج
وارحم يا أكرم من رحما ×××× عبدا عن بابك لم يعج
واختم عملي بخواتمها ×××× لأكون غدا في الحشر نجي
لكني بجودك معترف ×××× فاقبل معاذيري حججي
وإذا بك ضاق الأمر فقل: ×××× "اشتدي أزمة تنفرجي"